بسم الله الرحمن الرحيم

صدى مرتضى

السنة ٩

السنة ٩

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى المرتضى(عليه السلام).
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – قسم الشّؤون الفكرية والثَّقافية.
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع – وحدة الإصدارات.
التَّصميم: حسين شمران – حسين عقيل.
الطَّبعة: الأولى.
عدد النّسخ: ١٠٠٠
شهر رجب الأصب: ١٤٣٦هـ.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة.

المحتويات

العطاء في حياة الإمام علي عليه السلام ١١

الإمام علي عليه السلام وفن التّعامل مع النّاس ١٩

تساؤلات ملحّة ٢٩

منهج الحق، ومنهج الباطل ٣٩

وقفة مع واقعة الغدير ٥٣

الإرهاب دين أعداء علي عليه السلام ٦٣

أفضليّة الإمام علي عليه السلام ٧٧

من دلالات حدث الميلاد ٨٩

يا برق إن جئت الغري ١٠١

زيارة أمين الله ١٠٥

علي
من كنت مولاه فهذا علي مولاه

الافتتاحية

إنّ حياة الأئمة -عليهم السلام- هي حياة حافلة، غنيّة بالعبر والعظات، والدّروس العمليّة.. التي يستطيع كل إنسان أن يستفيد منها مهما كانت الظّروف والأوضاع التي يعيش فيها..؛ لأنّ الأئمة -عليهم السلام- واجهوا شتّى الظّروف، واتخذوا منها مواقف محدّدة يجب أن تكون درساً لكلّ الأجيال، ومنهاجاً ينبغي السير على ضوئه.

ومن هنا تأتي ضرورة دراسة حياة الأئمة -عليهم السلام-.. بهدف أن نغير أنفسنا ونحاول الاقتداء بالأئمة -عليهم السلام- وتطبيق ما كانوا يفعلونه .حسب الظّرف الذي نعيشه..

والإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- شخصية متميّزة تخطّت حاجز الزّمان والمكان وتربّعت على قمّة المجد.. فقد تجمّعت في هذه الشّخصيّة الفذّة العملاقة كلّ الصّفات الرّفيعة التي فاق بها جميع العظماء والعمالقة بعد الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- حتى لكأنه نسخة ثانية من شخصية الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- بل هو نفس الرّسول -صلى الله عليه وآله- بتصريح القرآن الكريم: (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)..

لقد كان الإمام -عليه السلام- متفوّقاً في كل المجالات.. ومتقدّماً في كل النّواحي.. من هنا فقد اختاره الله -سبحانه وتعالى- خليفة على المسلمين وقائداً لهم بعد الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-.

لذا فإنّ الحديث عن شخصيّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- هو من أجل أن يأخذ النّاس منه ما يشاؤون من مزايا وصفات، وحِكم وعِظات، وثمار وعطاءات، تتّسع لكلّ شؤون الحياة.

ومن أجل أن تبني الأجيال وجودها المتعثر، وتمسك بمركبها المتعثّر، وتشدّ خطّها بخطّ الإيمان والعدل، والاستقامة والنّبل، فعليها أن تلتمس هُداها في حياة الإمام أمير المؤمنين علي -عليه السلام-.

العطاء في حياة الإمام علي عليه السلام

الشيخ عبدالله اليوسف / باحث اسلامي

١١
صدى الأقصى
رجب الأصب ١٤٣٦هـ

العطاء سمة بارزة من سمات الأنبياء والأئمة-عليهم السلام- والأولياء والقادة والعظماء، وحياة الأنبياء والأئمة كلها عطاء في عطاء، فرسالتهم في الحياة هي العطاء، والتي تشمل كل جوانب العطاء الرّوحي والمعنوي والدّيني والفكري والتّربوي والسّلوكي.

وكذلك القادة والزّعماء لا يمكن أن يكونوا كذلك إلّا بالعطاء لمجتمعهم وأمّتهم؛ وإلّا فإنّهم قادة وزعماء مزيّفون لا يرتبطون بواقع العطاء بأيّة صلة حقيقية.

ومما يؤسَف له حقّاً أنّ أكثر النّاس لا يهتمّون إلّا بقضاياهم الخاصة، ومصالحهم الشّخصية؛ ولا يعيرون لقضايا المجتمع أو الأمّة أيّة أهمّيّة، ولذلك يأتون إلى هذه الحياة الدّنيا ثم يذهبون إلى العالم الآخر وكأنّهم لم يأتوا ولم يولدوا ولم يعيشوا في هذه الحياة .

وهناك من النّاس من يهتمّ بقضايا مجتمعه، ويعمل على تنميته وتطويره، والارتقاء به نحو الأفضل والأحسن، والمساهمة في رقيّه نحو مدارج الكمال. وقلّة قليلة من البشر ممن يكرّس حياته كلّها من أجل قضايا أمته الكبيرة، فيضحّي بوقته وماله وراحته؛ بل وحياته كلّها من أجل الارتقاء الحضاري بأمّته، ومنافسة الأمم الأخرى، والسّعي للتّفوق عليها جميعاً.

وعندما نقرأ سيرة الإمام علي -عليه السلام- سنجد أنّ حياته كلّها كانت عطاءً متواصلاً من أجل خدمة قضايا أمته، ونشر رسالة الإسلام إلى العالم، والتّضحية بمصالحه الشّخصيّة من أجل مصالح الأمّة، والصّبر على الجراح والمعاناة من أجل إسعاد الآخرين؛ بل والتّنازل عن حقّه في الحكم والخلافة من أجل حفظ وحدة المسلمين، وتقوية الإسلام؛ وهذا هو من أعظم العطاء.

لنبدأ الإبحار في سيرة الإمام علي -عليه السلام- من عطائه المالي وإنفاقه كل ماله من أجل إسعاد الفقراء والمحتاجين، فقد (كان الإمام علي -عليه السلام- يقدّم الآخرين على نفسه، ويبحث عمّن يعطيه ويعتبر ذلك ديناً عليه، لا له، ويقول: ((الكريم

يرى مكارم أخلاقه ديناً عليه يقضيه، واللّئيم يرى سوالف إحسانه ديناً له يقتضيه)).

ولذلك فإنّه -عليه السلام- كان يبحث عن ذوي الحاجة ليعطيهم، كما يبحث أحدنا عن الدّر والجوهر.

وكما يقول أحدهم: ((ما كان علي لينتظر حتى يسأله سائل، بل كان يبحث هو نفسه عن صاحب الحاجة، والمسكين، واليتيم، والفقير، والمحروم، يمضي إليهم هو ويعطيهم من ماله ما يعتقد أنّه حق لهم معلوم. وكان يقول -عليه السّلام-: **" السّخاء ما كان ابتداء أما ما كان عن مسألة فحياء وتذمّم"** (١).

وحينما رَزق الله المسلمين غنائم كثيرة واتّسع رزق المجاهدين منهم، اتخذ بعضهم المزارع، والدّور الكبيرة، وفاخر الرّياش.. أمّا هو ونفر من كبار الصّحابة، فقد كانوا يتصدّقون بما يغنمون!، بل ولم يكن يؤخّر العطاء من اللّيل إلى النّهار .

فعن سالم الجحدري قال: **"شهدت علي بن أبي طالب -عليه السلام- أُتي بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال:**

فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأَخِّره إلى غد.

فقال لهم: تقبلون لي أن أعيش إلى غد ؟

قالوا: ماذا بأيدينا ؟

فقال: لا تؤخّروه حتى تقسموه" (٢) .

وكان الإمام علي يعاتب من لا يشجع على الكرم، أو يدعو إلى البخل وقد روي: **" إنّ أمير المؤمنين -عليه السلام- بعث إلى رجلٍ بخمسة أوساق من تمر.**

فقال له رجل: واللهِ ما سألك فلان، ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق، وسق واحد.

فقال له -عليه السلام-: لا كثر الله في المؤمنين ضربك، أعطي أنا وتبخل أنت؟"(٣) .

وقد كان الإمام علي يُعطي بمقدار كرمه هو، لا بمقدار حاجة من يعطيه.

من ذلك ما روي أنّ إعرابياً سأله شيئاً، فأمر له بألف، فقال وكيله: من ذهب أو فضة ؟

(أي دينار أو درهم).

فقال -عليه السلام-: كلاهما عندي حجر، فأعطِ الإعرابي أنفعهما له (٤).

هكذا كان الإمام علي -عليه السلام- في عطائه المالي لا يفرق بين أن يكون العطاء من فضة أو ذهب !! فالمال عنده مال الله، وهو المؤتمن عليه، والناس عباد الله، وعليه أن يعطيهم من مال الله الذي بيده؛ وإن لم يبقَ لعائلته إلا أقل من القليل؛ لأنّه إمام المسلمين، وليس كأحدهم.

وكان الإمام يهتم بقضاء حوائج الناس مهما كانت، فيعطف على الضّعيف، ويرحم المستضعف، ويقضي حاجة كل محتاج، ويسعى لحل المشاكل بين الناس.

روي أنّ سعيد بن قيس الهمداني رآه في شدّة الحرّ، في فناء حائط، فقال له:

يا أمير المؤمنين (أتخرج) بهذه الساعة؟

فقال -عليه السلام-: **"ما خرجت إلا لِأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً"** (٥).

ومظهر آخر من مظاهر العطاء عند الإمام علي -عليه السلام- هو استعداده الدّائم للتّضحية بنفسه من أجل الإسلام، فما كان الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- يطلب أحداً لمبارزة الأعداء إلّا وكان الإمام علي هو السّبّاق لذلك، كان الجميع يهابه لكنه لم يكن يهاب من أحد حتى وإن كان معروفاً بقوّته وبطولته، وكان الإمام علي -عليه السلام- دائماً هو المنتصر على أعدائه.

ولعل من أبرز مصاديق استعداده للتّضحية هو مبيته على فراش النبي -صلى الله عليه وآله- رغم المخاطر التي كانت تحف به، حيث كان من الممكن أن يستشهد في تلك الليلة؛ لكن الإمام علي -عليه السلام- لم يكن يخاف الموت، ولم يكن يجبن عند الشّدائد، فقد كان يعرفه الجميع بالشّجاعة والبطولة.

ويتجلّى عطاء الإمام علي -عليه السلام- مرّة أخرى بعدم قيامه بأي عمل عنيف

ضد من أخذوا الخلافة منه، وتحمّله للظّلم الذي وقع عليه من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين، وانتشار الإسلام، فهمّه هو الإسلام وليس ذاته الشّخصيّة.

يقول الإمام علي -عليه السلام-: **" لقد علمتم أنّي أحق النّاس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليَّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه" (٦).**

قال الشّيخ ميثم البحراني شارحاً هذا الكلام: إنّ غرض الإمام علي-عليه السلام- "هو صلاح حال المسلمين واستقامة أمورهم وسلامتهم عن الفتن، وقد كان لهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة أمر وإن كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولي هو هذا الأمر، فلذلك أقسم ليسلمن ذلك الأمر ولا ينازع فيه؛ إذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقّت عصا الإسلام وذلك ضد مطلوب الشّارع، وإنّما يتعيّن عليه النّزاع والقتال عند خوف الفتنة وقيامها" .

فالإمام علي -عليه السلام- يهمّه -بحسب رأي ابن ميثم- صيانة مصالح المسلمين، والحفاظ على وحدتهم، وضمان مصالحهم العامة، والقضاء على الفتنة بينهم، وإن كان في ذلك ظلم على الإمام علي -عليه السلام- خاصة، فالحفاظ على الوحدة الإسلامية أهم من الدّخول في صراع مع من سبقه من خلفاء، وإن كان ذلك يؤدّي قهراً إلى ضياع حقّه في الخلافة، مع علم الجميع -كما أشار الإمام نفسه- إلى أنّه أحق النّاس بالخلافة من غيره.

وخلاصة الكلام: إنّ مظاهر العطاء في سيرة الإمام علي -عليه السلام- لا تقتصر على جانب دون آخر، ولا على شريحة دون أخرى، ولا على مناسبة دون مناسبة؛ فحياته كلّها عطاء، ولذلك سيبقى الإمام علي -عليه السلام- عظيماً على مرّ الدّهور والسّنين، ولن تستطيع كل الحواجب أن تمنع شمس عظمته من الإشراق والانتشار.

فلتكن حياتنا عطاء

وعندما نستذكر حياة الإمام علي -عليه السلام- في العطاء والتّضحية من أجل قضايا الأمّة، ومصلحة الإسلام والمسلمين، فلنكن في عطائنا كالإمام علي -عليه السلام- ولن نكون كمثله، في عطائه لأمّته، واستعداده للتّضحية بنفسه وبكل ما يملك من أجل خدمة الآخرين، والحفاظ على الأهداف الإسلاميّة الكبرى.

فالإنسان الكبير والذي يسجّل التاريخ اسمه هو من يعطي وقته وماله وحياته من أجل الآخرين، أمّا من لا يهتم إلا بمصالح نفسه وذاته، ولا تهمّه قضايا الأمة، ومصالح المجتمع، فإنّ التاريخ لن يقبل أن يسجّل هؤلاء الأنانيين في دفاتر وسجلّات القادة والعظماء.

فالإنسان يكون كبيراً بعطائه المتواصل وتفانيه من أجل تنمية مجتمعه، والسّعي لتقوية أمّته، وكلّما كبر عطاء الإنسان كبر حجمه ومكانته عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس.

وكما تتفاوت الأفراد في عطائها وفاعليتها كذلك تتفاوت المجتمعات في عطائها وإنتاجها؛ فنجد أنّ هناك مجتمعات معطاءة من أجل منافسة المجتمعات الأخرى، وهناك مجتمعات تعتمد على غيرها في كلّ شيء؛ الغذاء والصّناعة والاقتصاد بل وحتى الملابس، وهذه المجتمعات عادة ما تكون متخلّفة حضاريّاً، وغير قادرة على التّطور والتّقدّم، أمّا المجتمعات المعطاءة فهي دائماً تسير نحو التّطوّر والتّقدّم والازدهار.

فلتكن حياتنا كلّها عطاء، ولنقتدي بالإمام علي -عليه السلام- في عطائه وتضحيته من أجل أن يكون الإسلام في رفعة، والمسلمون في تطوّر وتقدّم وازدهار، وأن يعيش الناس في سعادة واطمئنان.

الهوامش:

١ . ميزان الحكمة / محمد الري شهري/ قم: دار الحديث/ ١٤١٦ هـ. ق/ التحقيق: دار الحديث/ الناشر: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ج٤/ ص٢٨٤.

٢ . أنظر بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٤٠/ ص١٢١.

٣. محمد الري شهري/ المصدر السابق/ ج١/ ٢٤٧ .

٤. المجلسي/ المصدر السابق / ج ٤١ / ص٣٢.

٥. المصدر نفسه/ ج٤٠/ ص١١٣.

٦. المصدر نفسه/ ج٢٩/ ص٦١٢.

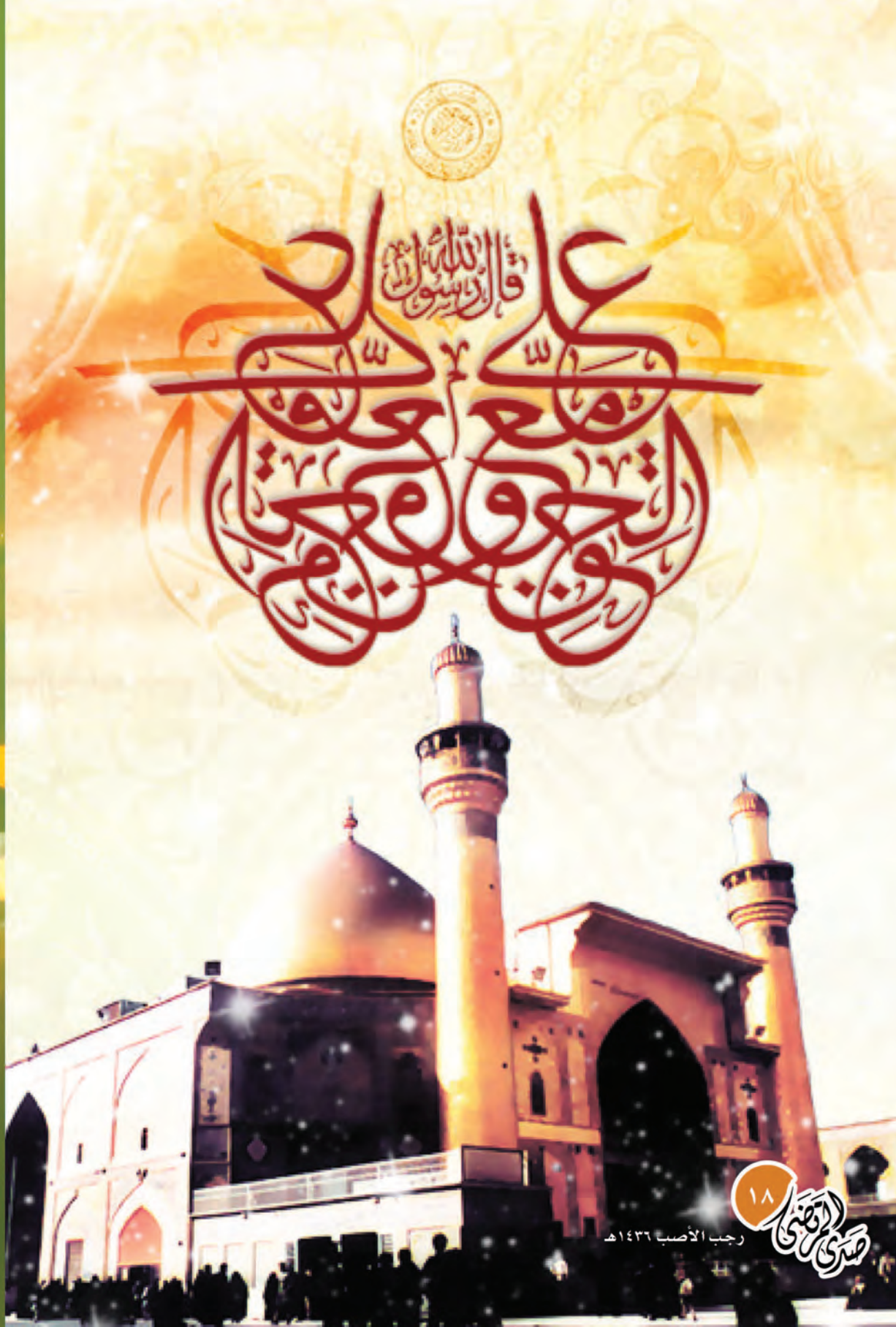
قال رسول الله
علي مع الحق والحق مع علي

الإمام علي عليه السلام وفن التّعامل مع النّاس

إعداد: صادق الخزاعي/ مدرِّب تنمية بشرية

لم يزل أمير المؤمنين عليٌّ -عليه السلام- مثالاً يَقتدي به الطامحون لتحقيق الإنجازات الدّنيوية والأخروية، فكل من يروم النّجاح في حقل من الحقول لا يعدم أن يجد في تراث علي -عليه السلام- وسيرته العطرة أنموذجاً للتمييز والنّجاح، وحق للإنسانية أن تفخر بأعظم عظمائها بعد النّبي محمد-صلى الله عليه وآله-، وأن تنهل من سيرته الطّيّبة رحيقاً يمدّها بالحياة.

يُعدُّ التّعامل مع النّاس من أصعب الممارسات الاجتماعية التي يمارسها البشر ضمن مجتمعاتهم؛ وذلك لكثرة المتغيّرات في النّفس البشرية، وتمثل عملية التّعامل بين البشر احتكاكاً بين نفسيتين مختلفتين أو نفسيات متعدّدة، ولكل نفس إنسانية خصائصها المتقلّبة والمتغيّرة؛ من هنا تأتي صعوبة هذه الممارسة، ويشكّل (فنّ التعامل مع الناس) اليوم واحداً من أسس نجاح الأشخاص والقادة المتصدّين للعمل الاجتماعي، وكلّما اكتسب الشّخص مهارات التّعامل مع النّاس، وأجاد استعمالها حقّق لنفسه ولمؤسّسته النّجاح والتّقدّم والفرادة. وأعني بمفهوم (التّعامل مع النّاس) عمليّة إنجاز التّواصل النّاجح بين فردين من أفراد البشر على الأقل أو مجموعة أفراد لتحقيق أهداف معينة، ويقصد بالتّواصل معناه الأعم أي التّوافق الإيجابي والاستمرار في إجراء فعل ما، سواء أكان هذا الفعل قوليّاً(حديثاً) أو نقاشاً معيّناً أو عضلياً أو عقلياً .

إنّ تتبّع أسس هذا الفن عند أمير المؤمنين-عليه السلام- يقدّم لنا قواعد رصينة وآمنة، يمكن السّير في هداها باطمئنان، لأنّها تُحقّق لنا الغايتين الدّنيوية والأخروية.

لقد أحاطت الظّروف العصيبة بأمير المؤمنين -عليه السلام- وألّمت به المشكلات، وتحلق حوله كثير من النّاس بعضهم الموالين والأنصار والأتباع، وكثير منهم ليسوا كذلك، وكان لزاماً على إمام الأمّة، وقائدها بعد نبيّها أن يتعامل معهم بمنتهى الحكمة، ويقودهم بِخُلق السّماء . يمكن القول باطمئنان إنَّ أمير المؤمنين -عليه السلام- حقّق تعاملاً ناجحاً مع النّاس سواء كانوا أتباعاً وموالين أو أعداءً ومبغضين وكان ذلك

من خلال مجموعة من المهارات، وسنخصص الحديث حول محور واحد من تلك المهارات هي: مهارات الفهم والتّواصل: وهي حزمة من المهارات التي يستطيع الفرد من خلالها تحقيق تواصل ناجز مع الآخرين، وكلّما أتقن الفرد استعمالها وأبدع فيها كان أقدر على تحقيق أهدافه، ومن أهم هذه المهارات:

أولاً: حُسن الاستماع:

تمثل اللّغة أفضل وسائل الاتصال والتّواصل بين أفراد البشر، وهي الوسيلة الأكثر فاعلية لتحقيق حوار ناجح بين طرفين، والحوار صفة بشرية، من شأنه جذب العقول المباينة، وتقريب النّفوس المتنافرة، وترويضها، وإخضاعها لأهداف الجماعة ومعاييرها، ويقوم الحوار النّاجح على ميزة مهمّة وهي حُسن الاستماع، والإصغاء لشريكنا في الحوار؛ إذ يشعر الطّرف الآخر أنّك جاد في التّعامل معه باحترام، وقد جسّد أميرُ المؤمنين عليّ -عليه السلام- هذا الخلق السّماوي على أكمل وجه، فكان-عليه السلام- يستمع للكبير والصّغير، للمخالف والمؤالف، وينصت إليهم باهتمام، حتى إذا أتمّ المتكلّم كلامه أبدى له من الجواب أرفقه عبارة، وأحسنه مقاماً، وأفضله منفعة، وقد جرت في حياته الكريمة حوارات كثيرة وطويلة مع أتباعه وأعدائه، مع المسلمين وغيرهم، وفي كل تلك الحوارات كانت سمته حُسنُ الاستماع من شريكه في الحوار والحديث، ولا يقطع على متكلم حديثه حتى يتمّه؛ لأنّ من حقّ المتكلّم أن يُتم حديثه ليعرب عمّا في نفسه . من ذلك مثلاً ما يرويه لنا قنبر مولى علي -عليه السلام- هذا الخبر: " **قَالَ دَخَلْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَحَبَّ الْخَلْوَةَ وَأَوْمَى إِلَيَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّنَحِّي، فَتَنَحَّيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَجَعَلَ عُثْمَانُ يُعَاتِبُ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُطْرِقٌ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ، فَقَالَ مَا لَكَ لَا تَقُولُ؟ فَقَالَ إِنْ قُلْتُ لَمْ أَقُلْ إِلَّا مَا تَكْرَهُ، وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا مَا تُحِبُّ**"(١)، تُبيّن هذه الرّواية أنّ الإمام علياً-عليه السلام- مع شدّة الموقف وحرجه استمع من عثمان مقالته، ولم يقطع عليه حديثه، مع

أنّ له ملاحظات وتعقيبات ومداخلات على حديث عثمان وسياسته في إدارة البلاد والعباد، وكان مطرقاً حتى تعجَّبَ عثمان (مم سكوت الإمام)، فطلب منه أن يقول شيئاً في جوابه، فرأى الإمام أنّ الموقف السّاعة لا يحتمل الرّد على العتاب، الساعةُ ساعةَ قرار لإنقاذ نفس بشرية فقال له ((إن قلت لم أقل إلا ما تكره)) لأنّ الحقيقية التي سيواجهه بها ستكون ثقيلة عليه، وكان سينصحه بما يصعب عليه فعله، فآثر الإمام أن يستمع منه ولا يرد عليه، إلا بدفع الضّرر المحدق به ساعته تلك، وقد دفع عنه فعلاً . وكان عليٌّ-عليه السلام- يأمر ولاته على المدن أن يستمعوا إلى عامّة النّاس، وفقرائهم، جاء في عهده لمالك الأشتر: " **وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ**"(٢)، ولابدّ أن يرافق حُسنَ الاستماع سعةُ الصدر، وقد قال-عليه السلام- في غير موضع: " **آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ**"(٣)، إنّ من يُحسِنُ الاستماعَ يكون قادراً على فهم الكلام على وجهه الصحيح ولا يخطئ بتفسيره لتعجله بسماعه على شكل غير سليم، ويكون قادراً على موازنة الأمور أثناء استغراقه بالاستماع الجيد والإنصات للمتكلم، والمستمع الجيد يُشعرُ الآخرين بالاهتمام بهم، وهو أقلُّ عُرضَةً لزلّة اللسان، وأقل تصادماً مع الناس في النقاشات، وبمقدار إجادتنا للاستماع والإنصات يكون نجاحنا في الحوار وتميزنا في تواصلنا مع الآخرين.

ثانياً: فهم النّفسيّة الإنسانية:

تتجاذب النّفس الإنسانيّة عوامل عدّة بعضها غريزي وبعضها يكتسبه الإنسان من بيئته، ونصف تلك العوامل تعدُّ في علم الأخلاق سلبيّة، والنّصف الآخر إيجابيّة، وإذا أراد الإنسان التّواصل النّاجح والفاعل مع الآخرين عليه أن يفهم النّفس

البشرية وما فيها من غرائز، وأن يراعي تلك الغرائز البشرية. وكانت وصايا الإمام علي -عليه السلام- تُراعي النّفس الإنسانيّة دوماً وتطلب منّا التّعامل مع النّاس بما فيهم من سلبيّات وأخطاء، وأن يكون تعاملنا مبنيّاً على أُسس أخلاقيّة سامية وصحيحة، فلا نلوم الناس على حبّ الدّنيا مثلاً، فقد جبل الإنسان على ذلك قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: " **النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَلا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ**"(٤) أنّ تحقيق المنافع المادّيّة شيء مشروع للأفراد، ومثلما نُريد تحقيق مصالحنا الذّاتيّة يجب أن نُتيح للآخرين فرصة كريمة لتحقيق مصالحهم أيضاً، ونبّه إمامنا -عليه السلام- قائلاً: "**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا**"(٥) فطلب الدّنيا قد يصاحبه النَهَمُ وهو الإفراط في الشّهوة، وهنا تبلغ المباحات حد الخطر، فقد يظلم الإنسان، وقد يجور في طلب ما ليس له به حق، وعندها يقع في المحرم، ومن يُجيد التّعامل النّاجح مع الآخرين عليه تلمّس ذلك الخيط الفاصل بين المشروع من حب الدّنيا وطلبها والتّجاوز على حقوق الآخرين وأخذها منهم باطلاً. وقد أوصى أمامنا عليّ-عليه السلام- ابنه الحسن-عليه السلام- بهذه الوصيّة قائلاً: " **يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ**"(٦) إنّ فهم نفسيّة الآخر والتّفكير فيما يحبّه الآخرون طريق ناجح وفعّال للوصول إلى تواصل ناجح معهم.

ومن صفات النّفس البشريّة الجهل والمحدوديّة، فالإنسان قاصرٌ ومحدودٌ وليس له أن يحيط إلّا بما وسعه جَهده، لكن هذه النّفس تأبى أن تكشف عن جهلها ومحدوديّتها، فقد يسعى الفرد إلى محاربة ما لا يعلم لأنّه جاهل به ليس إلّا، قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: " **النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**"(٧) والعِلّة في ذلك أنّ الفرد قد يخشى من بيان نقصه أو تقريعه بعدم معرفته بأمر ما فيعاديه، وأكثر ما يكون ذلك إذا كان في محفل ما

فتراه يعادي الحقيقة أو ينكرها، وقد يذهب به عِداؤه إلى الإفراط أو التّفريط قال عليٌّ -عليه السلام-: "**لا تَرَى الْجَاهِلَ إِلاَّ مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطا**"(٨) وعندها سيقع في الخطأ الأكبر، إذ سيَنكشف جهله بين الناس لأنّه سيكون ممن يصارعون الحق، وقد قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: " **من صَارَعَ الحقَّ صَرَعَهُ**"(٩)، فإذا أردنا تواصلاً ناجحاً مع الآخرين علينا مراعاة هذه الصّفة من صفات النّفس فنبتعد عن كشف جهل الآخرين أو جرّهم إلى العناد ثم مجانبة الحقيقة . أمّا إذا كُنّا نحن نجهل شيئاً فعلينا أن نجنّب أنفسنا الخوض فيه فينكشف جهلنا ويصغر مقامنا، وينبّه أمير المؤمنين -عليه السلام- ابنه الحسن-عليه السلام- على ذلك يقول له في وصيّة له: " **ولا تقلْ ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلمُ، ولا تقلْ ما لا تُحب أن يُقالَ لك**"(١٠)، فالقول بما لا نعلم خصلة مُهلكة للفرد قال أمامنا -عليه السلام-: " **من ترك قول (لا أدري) أُصيبت مَقاتلهُ**" (١١).

إنّ نجاح تعاملنا مع النّاس رهنٌ بتواصلنا الفعّال معهم ولابدّ لنا لتحقيق تواصل ناجز أن نراعي صفات النّفس البشريّة فنفهم ما لها وما عليها .

ثالثاً: ترك (الأنا):

الاعتزاز بالنّفس شيء مشروع، ولابُدّ للفرد أن يكون معتزّاً بنفسه وشخصه وهي سمة من سمات النّفس الإنسانيّة، ولكن هذا الاعتزاز بالنّفس قد يزيد عن الحد الطّبيعي فينقلب (أنانية) وعُجْباً من المرء بنفسه، وهذه صفة مذمومة، قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: " **عُجْبُ المرء بنفسه أحدُ حُسَّادُ عقله**"(١٢) وحذر منه ولاته، قائلاً لمالك الأشتر: "**وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِين**"(١٣)، وهذه آفة تصيب المرء فتمنعه من التّواصل مع الآخرين؛ إذ يأخذ الفرد بالاهتمام بنفسه، ولا يراعي الآخرين، حتى يصبح مغروراً مستبدّاً برأيه، مما يعرضه للتّهلكة قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: ((**مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي**

عُقُولِهَا"(١٤)، إنّ الإنسان النّاجح في تعامله مع الآخرين عليه أن يترك (الأنا) ويهتم بأخيه الإنسان قبل الاهتمام بنفسه .

رابعاً: طِيبُ لُغَةِ الخطابِ وحُسْنُ استعمالِ الكَلِم:

أوصى نبينا المصطفى -صلى الله عليه وآله- أبا ذر الغفاري بالكلمة الطّيّبة فقال -صلى الله عليه وآله-: **"الكلمةُ الطّيّبةُ صدقةٌ"**(١٥)، وذهبت هذه القولة مثلاً، لترسم للإنسان طريق التّواصل النّاجح مع أبناء جلدته، فيختار لهم من الكلم أطيبه منطقاً، وأعذبه مسمعاً، وأحلاه في نفوسهم، وكانت سيرة أميرِ المؤمنين-عليه السلام- من أكثر صفحات الإنسانيّة روعة وجمالاً، حتى كان -عليه السلام- أباً رحيماً للمسلمين كافّة يتفقّد منهم ما يتفقّده الوالد من ولده، لم يُسمعْ -عليه السلام- أحداً منهم خشناً من القول أو غليظاً، بل كلّ كلامه عذوبة ورقة. وقد حثَّ -عليه السلام- في وصاياه وحكمه على أن يكون كلامُ المرء طيّباً حسناً؛ لأنّ الكلام صورة لعقل الإنسان قال -عليه السّلام-: **" رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك"**(١٦) وقال أيضاً: **"تكلّموا تعرفوا فإنّ المرء مخبوء تحت طَيِّ لسانه"**(١٧)، وإذا كان الكلام عنوان عقل الرجل، فيجب عليه أن يُحسن اختيار الكلمات التي سيرسلها إلى الآخرين، ليَنْفُذَ بها إلى عقولهم وضمائرهم، ثم إنَّ أمير المؤمنين -عليه السلام- يُحذِّرُ من التَّعَجُّل بالكلام، فيقول: **" لسانُ العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه"**(١٨)، فالتّأنّي بالكلام دليلٌ على التّفكُّر به قبل أن يُرسله المتكلّم؛ وسبب ذلك التّأني أنّ: **" اللّسان سَبُعٌ إنْ خُلي عنه عَقَر"**(١٨)، فكم من موقف قال فيه القائل قولاً قد يندم عليه بعد حين. إذا رامَ المرءُ النّجاحَ في تواصله مع الآخرين فما له إلّا أن يلتزم وصايا عليٍّ -عليه السلام-، ولا يُكثر من الكلام، وأنْ يكون كلامه بمقدار ما به من حاجة إليه، فليس على المرء أن يُفرغ ما في جُعبته، وقد أوصى أمير المؤمنين-عليه السلام- بذلك إذ يقول: **" لا تَقُلْ ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإنّ الله فرض على جوارحك فرائضَ يَحتجُ بها**

عليك يوم القيامة"(١٩)، ويعدُّ أمير المؤمنين-عليه السلام- قِلَّة الكلام من سمات تمام العقل، فيقول-عليه السلام-: **"إذا تمّ العقل نقص الكلام"(٢٠)**، إنّ مراجعة سيرة أمير المؤمنين علي-عليه السلام- تكشف لنا عن كمّيّة هائلة من الوصايا والوقائع التي تُحقّق لنا تواصلاً ناجحاً مع الآخرين، والالتزام بتلك الوصايا كفيل بتحقيق تعامل فعّال مع النّاس وكلّما تمرّن الفرد على هذه المهارات كان أكثر نجاحاً في تعامله مع الناس.

الهوامش:

١.بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٣١ / ص٤٦٨.

٢.المصدر نفسه / ج ٣٣ / ص ٦٠٨.

٣.المصدر نفسه / جزء ٧٢ / ص٣٥٧.

٤.المصدر نفسه / جزء ٧٠ / ص ١٣١.

٥.المصدر نفسه / ج ١ / ص ١٦٨.

٦.المصدر نفسه / ج ٧٤ / ص٢٢٢.

٧.المصدر نفسه / جزء ١ / صفحة [٩٤]

٨.ميزان الحكمة / محمد الري شهري/ قم: دار الحديث/ ١٤١٦ هـ. ق/ التحقيق: دار الحديث/ الناشر: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ج٢/ ص١٠٧.

٩. المصدر السابق / ج ٢ / ص ١٤٣.

١٠. المصدر نفسه ج٢/ ص١٢٢.

١١.المصدر السابق / ج ٧٤ / ص ٢٠٣.

١٢.المصدر نفسه/ ج٦٩/ ص٣١٧.

١٣.المصدر نفسه / ج ٣٣ / ص ٦١١.

١٤. المصدر نفسه/ ج٧٢/ ص١٠٤.

١٥. المصدر نفسه/ ج٧٤/ ص٨٥

١٦. المصدر نفسه / ج ١ / ص ١٦٠.

١٧. المصدر نفسه / ج٦٨/ ص٢٩١

١٨. المصدر نفسه / ج٦٨/ ص٢٩٠.

١٩. المصدر نفسه / ج٢/ ص١٢٢.

٢٠. المصدر نفسه / ج ١ / ص١٥٩.

علي عليه السلام
حب علي حسنة
قسيم النار والجنة
وصي المصطفى حقاً
امام الانس والجنة

تساؤلات ملحّة

سماحة السيد مرتضى الحسيني/ أستاذ في حوزة النجف الأشرف

يصادف المطالع لحياة الإمام علي-عليه السلام- العديد من الأسئلة وعلامات الاستفهام حول حياة الإمام ومواقفه وأعماله -عليه السلام-.. وفي هذا الفصل نحاول -باختصار- الإجابة على مجموعة من هذه الأسئلة، وحل بعض هذه الاستفهامات.. والله ولي التوفيق.

السّؤال الأوّل: ماذا كان دور الإمام علي -عليه السلام- طوال حكومة أبي بكر وعمر وعثمان؟

الجواب: كان للإمام -عليه السلام- مجموعة من الأدوار والأعمال نذكر منها دورين فقط:

١: القيام بمهمّة توجيه السّلطة، والحد من انحرافها إلى أقصى درجة ممكنة.. فقد كان الإمام -عليه السلام- يقوم بدور (الموجّه) للدّولة وللمسلمين.. كان الإمام -عليه السلام- يقوّم الأخطاء ويصلحها.. ويحل المشاكل العسيرة التي كانت تواجه المسلمين.. فقد كانت السّلطات الحاكمة تقع في الكثير من الأخطاء القضائية والتّنفيذيّة والقانونية والسّياسيّة وغيرها.. وكان الإمام -عليه السلام- هو الذي يصحّحها ويقوّمها حتى قال عمر في سبعين موضعاً: «**لولا علي لهلك عمر**».

كما كان الإمام -عليه السلام- يتصدّى للسلطات حينما تحاول الانحراف عن الخط الإسلامي.. وكان الإمام يقوم -تارة- بهذا الدّور بنفسه، ويأمر أصحابه وأنصاره بالقيام بهذا الدّور-تارة أخرى- مثلاً: كان أبو ذر يخالف عثمان علناً ويبدي انحرافاته أمام الناس.. كما كان يقوم بتحريك النّاس ضد عثمان.. وكذلك فإنّ عمّار بن ياسر كان يقوم بنفس الدّور.. وهكذا بقيّة أصحابه وأتباعه..

وبالإضافة إلى كل ذلك كان الإمام يقوم بالتّخطيط للحفاظ على كيان الأمّة الإسلاميّة، فعند حدوث أي خطر على كيان الإسلام وعلى المسلمين كان الإمام -عليه السلام- هو الملاذ والملجأ لرد الخطر والحفاظ على الإسلام. ولم تكن الحروب التي يأمر بها عمر

مثلاً والانتصارات والفتوحات التي حدثت في عهده بعيدة عن إذن الإمام علي -عليه السلام- وإشارته المسبقة بذلك..

ونحن لو لم نقل بأنّ كلّ الحروب التي أمر بها عمر كانت بإذن الإمام فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّه كان يشاور الإمام -عليه السلام- في بعضها على الأقل ويتبعه فيها..

فمثلاً عام ٢١هـ وصلت التّقارير إلى عمر تنبؤه أنّ (يزد جرد) شاه إيران اجتمع بأمراء إيران وجميع القادة.. وقرّروا في الاجتماع القيام بحملة ضخمة جداً على البلاد الإسلامية وفي طليعتها الكوفة والبصرة واحتلال هذه المراكز.. ومن ثم القضاء على الإسلام نهائيّاً.. واستطاع يزدجرد أن يجهّز جيشاً مؤلّفاً من مائة وخمسين ألف فارس مسلّح تحت قيادة (فيروزان) وثلاثة قادة آخرين وهم من أكفأ ضبّاطه وأكثرهم خبرة في الشّؤون العسكريّة.. وقرأ عمر التّقرير.. وأمر بجمع الناس في المسجد.. وأخبرهم بالقصّة.. وطلب منهم العثور على حلّ لهذه المشكلة.. وسكت الجميع.. لم يكن أحد منهم يعرف طريقة للخلاص.. وطرح عثمان خطّة غير جيدة لمحاربة جيش يزدجرد وقد رفضها عمر فوراً.. أمّا سائر المسلمين فقد لاذوا بالصّمت لأنّهم لم يجدوا حلّاً للمشكلة.. وأخيراً استنجد عمر بالإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- واستفسره عن الخطّة العسكريّة.. فشرح الإمام -عليه السلام- له الخطة بالتّفصيل خطّة الحرب ووافق عمر على الخطّة.. وحسب خطّة الإمام -عليه السلام- أمر عمر واليه على الكوفة (عمّار بن ياسر) بإعداد ثلث جيش الكوفة فقط وهو ثلاثون ألف مسلّح!! لكي يذهبوا لحرب جيوش يزد جرد التي تربو على مائة وخمسين ألف فارس مسلّح.. والتقى الجيشان.. ودارت معركة طاحنة.. انتهت بانتصار جيش المسلمين، وهزيمة جيش الكفر والضّلال.. حسبما خطّط الإمام -عليه السلام-.

هذا المثال وكثير من الأمثلة الأخرى تُبيّن: عمل الإمام -عليه السلام- للحفاظ على الأمّة الإسلامية.. وهكذا نجد أنّ الإمام -عليه السلام- كان يقوم بدور (المرشد)

و(الموجّه) و(المخطّط) للدّولة على امتداد حكم أبي بكر وعمر وعثمان ولم يكن منعزلاً عن الحياة السّياسيّة(١)..

٢: تربية الطّلائع الثّوريّة.. فطوال ربع قرن من حياة الإمام -عليه السلام- كانت له اتصالات مستمرّة بشيعته وحواريه وخاصّته أمثال: أبي ذر، وعمّار، وميثم التّمار، وسلمان الفارسي، وأبي الهيثم بن التيهان، وغيرهم من الثّوار الأحرار.. وكان الإمام -عليه السلام- يوجّههم ويرسم لهم طريق العمل..

السّؤال الثّاني:

كان باستطاعة الإمام -عليه السلام- أن يصل إلى الحكم بعد عمر فيما لو قبل شروط عبد الرحمن بن عوف عندما قال له عبد الرحمن: «أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشّيخين أبي بكر وعمر» فلماذا رفض الإمام ذلك وقال: «بل على كتاب الله وسنّة النبي واجتهاد رأيي» علماً بأنّ الإمام كان يستطيع أن يقبل شروط عبد الرحمن.. وعندما يبايعه عبد الرحمن ويصل الإمام إلى الحكم يضرب شرطه الأخير ـ سيرة الشّيخين ـ عرض الحائط؟

الجواب:

أولاً: يجب أن نعرف أنّ الإمام علياً -عليه السلام- لم يكن قائداً محدوداً لعصره وزمانه فحسب، بل هو قائد خالد.. وإمام لجميع العصور والأزمنة.. من هنا فإنّه يجب أن يصل شعاعه إلى ملايين السّنين القادمة.. إلى أعماق المستقبل ومجاهيله.. وباعتبار أنّه يريد توجيه الملايين بل آلاف المليارات من البشر في المستقبل.. يريد توجيههم نحو القيم الإسلاميّة.. نحو الصّدق، نحو الطّهارة، نحو الشّرف، نحو البطولة.. الخ.. ولأنّه هو القائد العالمي لذلك فإنّه يجب أن يكون رمز الفضيلة ومثال الصّدق والطّهارة والبطولة والتّضحية.. ويجب أن لا تعكر صفحته البيضاء النّقية حتى ظلال خفيفة من الخداع.

ثانياً: لأنّ المسألة لم تكن مسألة كذبة واحدة ينتهي بعدها كل شيء.. بل كانت الكذبة موقفاً حاسماً من الإمام -عليه السلام- فمن جهة كان قبول الإمام بالعمل على سيرة الشّيخين يعني تأييده لهما ويعني صحّة أفعالهما وأعمالهما ومواقفهما وذلك ما لا يمكن أن يقرّه الإمام بأي وجه.. ومن جهة أخرى فإنّ وعده بالعمل على سيرة الشّيخين كان سيتبعه المطالبة بالوفاء بوعده.. ولو لم يعمل الإمام بما قال لهرج ضده عبد الرّحمن -وهو شخصية بارزة- ووضع الإمام في موقف حرج وإعاقة عن تحقيق أهدافه الإصلاحية.

السّؤال الثّالث:

إذا كان الإمام علي -عليه السلام- خليفة حقّاً فلماذا لم يعلن القرآن اسمه، ولماذا لم ينص عليه بالخلافة بالاسم؟

الجواب:

أوّلاً: لأنّ القرآن كتاب قوانين عامّة، فهو يرسم الخطوط العريضة للأجيال الصّاعدة.. وبعد ذلك فإنّ بيان المسائل الأخرى والمصاديق تقع على عاتق الرّسول -صلى الله عليه وآله- والأئمة -عليهم السلام- ولذلك نجد القرآن الكريم يصر ويذكر أصل مسألة الخلافة ويدع التّفاصيل وتعيين الخليفة بالاسم للرسول -صلى الله عليه وآله-.. يقول القرآن الكريم: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)(٢) فالقرآن هنا عين أصل مسألة الولاية..

ونجد الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- يقول: معيّناً الخليفة والولي بالاسم: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه...**».. إذن فللقرآن مهمّة رسم الخطوط العريضة للبشرية ولذلك لم يذكر اسم الإمام علي -عليه السلام- وترك ذكره إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

ثانياً: إنّ في القرآن الكريم آيات هي كالنّص القاطع في ولاية وخلافة الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- فكلّها تُشير إلى أنّ الإمام علياً -عليه السلام- هو الخليفة

الحقيقي للرسول -صلى الله عليه وآله-. مثل آية الإنذار والمباهلة والغدير وغيرها.

ثالثاً: إنّ القرآن الكريم لو نص على خلافة الإمام علي -عليه السلام- لحرّفته السّلطات الجائرة إذ أنّ ذلك كان يشكّل ضربة قاصمة لشرعية خلافتهم.. وأمّا قوله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**(٣) فإنّ حفظ الله-سبحانه- للقرآن وصيانته له من التّحريف يكون بتهيئة الأسباب والمقدّمات فقد «أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها».. ومن جملة الأسباب والمقدّمات هو: عدم ذكر شيء صريح يحرّك الحكّام الذين جاؤوا بعد الرسول -صلى الله عليه وآله- لتحريف القرآن.. إذ لم يكن من المستبعد أن يحرّفوا القرآن فيما لو كان فيه ذكر الإمام علي -عليه السلام- صريحاً، فكما أحرقوا القرآن كان يحرفوه أيضاً، وتحريف القرآن يعني تحريف الإسلام أساساً.. وبذلك يتحوّل الإسلام إلى ألعوبة بأيديهم كما تحوّلت الدّيانة (اليهودية) و(المسيحيّة) ألعوبة بأيدي الصّهيونية والاستعمار الغربي.

السّؤال الرّابع:

عندما وصل الإمام علي -عليه السلام- إلى الحكم قام بسلسلة من الإجراءات التّغييرية الثّورية لجميع أجهزة السّلطة السّابقة، كما عزل جميع الولاة السّابقين المنحرفين مما ولّد حقد وعداوة الكثيرين للإمام علي -عليه السلام- حيث عملوا على تقويض أركان حكومة الإمام علي -عليه السلام- بالحرب تارة، وبإثارة الفتن وتحريك الناس ضد الإمام علي -عليه السلام- تارة أخرى، وبالفعل حققوا بعض أهدافهم فقد أضعفوا حكومة الإمام -عليه السلام- إلى درجة كبيرة كما استنزفوا الكثير من طاقاته وجهوده -عليه السلام- في محاربتهم وإصلاح ما أفسدوه، أفلم يكن من الأفضل للإمام -عليه السلام- أن يدع الولاة السّابقين مدّة حتى تستقر حكومته وحتى تخضع له جميع الأطراف، وبعد ذلك يبدأ الإمام بعزل الولاة

السّابقين (أمثال معاوية وعبد الله بن عامر ويعلى بن أمية وغيرهم) وإصلاح الأجهزة الحاكمة واحداً بعد آخر ودون إثارة أيّة ضجّة؟ وبذلك يضرب الإمام عصفورين بحجر واحد، فمن جهة يصل إلى أهدافه الإصلاحية ومن جهة أخرى تثبت أركان دولته ولا تحدث فيها أيّة اضطرابات أو حروب أو انشقاقات..؟

والجواب:

أوّلاً: إنّ إقرار الإمام -عليه السلام- الولاة السّابقين على الحكم كان يعني وقوع المزيد من الأعمال المنافية للشرع.. فقد بنى الحُكّام والولاة السّابقين حكومتهم على أساس الظّلم والجور وسرقة الأموال و.. و.. فلو أبقاهم الإمام علي -عليه السلام- في الحكم كان يعني وقوع المزيد من هذه العمليّات الإجرامية -على رغم إرادة الإمام- بينما جاء الإمام علي -عليه السلام- إلى الحكم للإصلاح ولتغيير الواقع القائم من جذوره، ولم يأتِ لكي يحكم ويتمتّع بمباهج الحياة الدّنيا.

ثانياً: إنّ ثورة الشّعوب الإسلامية ضد عثمان كان من أهم أسبابها هو: إقراره الولاة المنحرفين وتوليته إيّاهم على البلاد الإسلامية حيث كانت حكومتهم دكتاتورية محضة، بالإضافة إلى جرائمهم التي ارتكبوها بحق الشّعوب المسلمة كسرقة بيت مال المسلمين وقتل البعض بدون جرم، والاعتداء على أموال المسلمين.. فكيف يدع الإمام -عليه السلام- الولاة السّابقين على الحكم مع أنّ الثّورة كان من أهم أهدافها عزل هؤلاء الولاة الجائرين؟

السّؤال الخامس:

عندما وصل الإمام علي -عليه السلام- إلى الحكم أصدر قراراً ثوريّاً بعزل معاوية عن الحكم فوراً، ألم يكن ذلك خطأً سياسياً كبيراً وقع فيه الإمام علي -عليه السلام-؟ إذ أنّ معاوية كان يحكم في الشام حوالي ١٧ سنة أي أنّه استطاع تثبيت

جذوره في المجتمع الشّامي. بينما لم تكن حكومة الإمام علي -عليه السلام- متجذّرة فلو صبر الإمام قليلاً حتى تتجذّر حكومته ثم يعزل معاوية لكان ذلك أفضل بكثير، فهل هذا صحيح؟

الجواب: إنّ عزل الإمام لمعاوية كان قراراً حكيماً ١٠٠٪ ولم يكن باستطاعة الإمام -عليه السلام- أن يفعل غير ذلك للأسباب التّالية:

١: إنّ وجود معاوية في قمّة ولاية الشّام كان من أهم المآخذ على عثمان، وهو أحد الأسباب التي أشعلت الثّورة ضدّ عثمان.. فكيف يبقيه الإمام والياً على الشّام، وماذا يكون موقفه مع الثّوار الذين ثاروا ضد عثمان؟

٢: إنّ الإمام -عليه السلام- أشار على عثمان مراراً بعزل معاوية فكيف لا يعزله هو؟

٣: إنّ بقاء معاوية على الحكم كان يعني المزيد من الجرائم والجنايات وذلك ما لا يرضى به الدّين، ولم يكن من الصّحيح إبقاء معاوية حتى تتجذّر حكومته ثم عزله إذ «الهدف لا يبرّر الوسيلة» وإلا فما فهو الفرق بين علي وعثمان؟ لو كان كلاهما يوليان ولاة جائرين.

٤: إنّ معاوية ـ حتى لو أبقاه الإمام علي -عليه السلام- ـ كان يدرك تماماً أنّه عنصر غير مرغوب فيه في دولة الإمام علي -عليه السلام- ومن الممكن في كل لحظة أن يصل إليه قرار العزل وذلك لأنّه كان يعرف الإمام جيّداً.. كان يعرف أنّ الإمام لا يمكن أن يدعه ـ وهو الفاجر الفاسق ـ يحكم مدّة طويلة.. وذلك فإنّ معاوية ـ لو أبقاه الإمام ـ كان يفكر في الحكومة.. ولذلك كان يفكّر في أخذ أزمّة الدّولة الإسلامية كلّها بيده.. لذلك فإبقاء معاوية كان يعني: المزيد من المؤامرات والمزيد من التّخريب تحت ستار كونه والياً للإمام علي -عليه السلام-.

وأخيراً فقد كانت حياة الإمام علي -عليه السلام- سلسلة من التّجارب والدّروس، علينا أن نستفيد منها في حياتنا.. والله الموفّق، وهو المستعان.

الهوامش:

١. هذا من دون أن يمنحهم أية شرعية.

٢. سورة المائدة: ٥٥.

٣. سورة الحجر: ٩.

حلى

منهج الحق، ومنهج الباطل

السيد رضي الحسيني/ باحث اسلامي

٣٩
صدى الأقصى
رجب الأصب ١٤٣٦هـ

بعض الناس يقولون لا داعي لتقييم الأفراد والحكم عليهم، فالله سبحانه وتعالى هو المطّلع على ظواهر الأفراد وبواطنهم، لذا فلنترك الحكم على الأفراد إلى ذلك اليوم الذي لا تخفى فيه على الله خافية ..

وهذه مقولة تنقض بالبحث حول النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، فلماذا التّحدّث عن النبي -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، وقد قدم كل منهما على ربه؟

ولماذا نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم حول أبي لهب؟ ونحن نقرأ دائماً: (**تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ**)(١).. أبو لهب شخص مات وانتهى أمره في الدّنيا، فلماذا تُقرأ سورة (المسد) في كل يوم؟

وهكذا الأمر بالنسبة لموسى -عليه السلام- وفرعون، فكلاهما ذهبا إلى ربّهما، فلماذا البحث حول نبي الله موسى -عليه السلام- وفرعون في القرآن الكريم وغيره؟

هذا **أوّلاً**، **وثانياً**: إنّ البحث عن هذه الشّخصيّات ليس بحثاً عن شخوص ماتت وانتهت، وإنّما هو بحث عن رموز للحق والباطل، والبحث عن الأخيار الماضين بحث عن شخصيات تضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل، فالماضي هو الذي يخطّط لنا الحاضر، والحاضر هو الذي يُبنى عليه المستقبل، فالبحث ليس حول أشخاص تاريخيين فحسب مثل أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ومعاوية، والرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، وموسى -عليه السلام- وفرعون.. وغيرهم، وإنّما هذه الأسماء تُمثّل قيماً معيّنة، وتجسّد خطوطاً ومناهج للسّلوك، وخرائط للسير الفكري والعملي..

فالبحث عن الشّخص بحث عن منهجه، وإذا كان معاوية حيّاً كان منهجه حيّاً أيضاً.

معاوية عندما جاء إلى الكوفة صعد المنبر وقال: (إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا وإنّما قاتلتكم لأتآمر عليكم)(٢)، فالهدف عنده كان هو الإمرة.

وأما في المقابل فإنّ الإمام علياً -عليه السلام- عندما دخل عليه ابن عباس، قال له الإمام -عليه السلام-: ما قيمة هذه النّعل؟

فنظر ابن عباس إلى النّعل، ثم قال: يا أمير المؤمنين إنّها لا تسوى شيئاً، وربما تساوي درهماً أو درهمين..

فقال الإمام علي -عليه السلام-: إنّ إمرتكم هذه أهون عندي من النّعل(٣)..

فهناك منهج يقتل الأبرياء ويسفك الدّماء ويحرق الأفراد المدنيين من أجل أن يتأمّر عليهم، ومنهج يرى أنّ الإمرة بما هي هي لا تُساوي نعالاً مرقعاً، أو لا تساوي عفطة عنز، أو لا تساوي ورقة في فم جرادة تقضمها..

منهجية المفاضلة

الملاحظة الثّانية: إذا كنّا بصدد القياس بين شخصين أو بين شيئين فيلزم أن يكون:

هنالك جامع مشترك يجمع بينهما، وهنالك مراتب تميّز فيما بينهما.

وإلّا كان القياس والمفاضلة في غير محلّها..

فمثلاً: النّور الشّديد والنّور الضّعيف يمكن المفاضلة فيما بينهما، فنور الشّمس الذي هو من المراتب القويّة للنّور، ونور عود الثّقاب الذي هو مرتبة ضعيفة من مراتب النّور، يمكن التّمايز بينهما، وذلك لوجود جامع مشترك يجمعهما، والجامع هنا يسمّى (ماهيّة النّور) أو (حقيقة النّور)، وهنالك فاصل يفصل فيما بينهما وهو درجات المرتبة، فتلك مرتبة شديدة من النّور، وهذه مرتبة ضعيفة من النّور.

أمّا هل يمكن أن نقول بالنسبة إلى القطن والفحم أيهما أشدّ بياضاً؟!

لا يصح ذلك، لأنّه لا يوجد هناك جامع مشترك بين القطن وبين الفحم.

أو أيّهما أعلم، العالم الفلاني أم البقّال الأمّي الذي يعيش في المحلّة ـ مثلاً ـ وهو لا يعرف شيئاً؟

من هنا نقول: المفاضلة والقياس بين الإمام علي -عليه السلام- ومعاوية كالمفاضلة بين النّور والظلام.. فأين الثّرى من الثّريّا؟

وأين معاوية من علي؟

لا يوجد ثمّة جامع مشترك يمكن أن تُبنى عليه المفاضلة فيما بين هذين الشّخصيتين.

وكيف تكون المفاضلة بين رجل تجرّد عن عالم المادة إذ يقول -عليه السلام-:

(إلهي.. ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)(٤)، وبين رجل يسهر الليالي إلى الصّباح في شرب الخمور وارتكاب المعاصي والمفاسد؟.

أبعاد الشّخصيّة المتعدّدة

عندما نحاول تقييم شخصيّة معيّنة لا يمكن النّظر إلى هذه الشّخصيّة من خلال بُعد واحد فحسب، وإنّما يلزم النّظر من خلال أبعاد متعدّدة، وذلك لأنّ الإنسان شخصية ذات أبعاد متعدّدة، فإذا لاحظنا بُعداً معيّناً فقط وقيّمنا شخصية ما من خلال ذلك البعد فحسب سيكون التّقييم نسبيّاً، أمّا إذا لاحظنا جميع الأبعاد وقيّمنا تلك الشّخصيّة من خلالها فإنّ التّقييم يكون تقييماً حقيقيّاً وهو ما يُسمّى بالتّقييم المطلق، وهو التّقييم العادل والصّحيح.

إنّ التّقييم الصّحيح والعادل لشخصيّة الإنسان لا تتحقّق إلّا إذا لاحظنا جميع أبعاد شخصيّته، وقيّمنا هذه الشّخصيّة من خلال جميع تلك الأبعاد والحيثيّات، إذ أنّ لكلّ بُعد من هذه الأبعاد قيمة منطقية، بل ربما كان بعدٌ من هذه الأبعاد يضم أبعاداً متعدّدة..

ومن هذه الأبعاد نذكر ما يلي:

البُعد الأول: اللّذّات الجسدية

إنّ لجسد الإنسان لذّات معيّنة توافقه، مثلاً:

الشّامّة لها لذّات معيّنة توافقها، وهي الرّوائح الطّيّبة.

كما أنّ للذائقة لذّات معيّنة، وهي الأطعمة اللّذيذة الطّيّبة التي يتذوّقها الإنسان والتي تُناسب حاسّة الذّائقة.

والباصرة لها لذّات معيّنة أيضاً كالماء والخضراء.

واللّامسة لها لذّات معيّنة. كذلك الحال في السّامعة.

هذه اللّذّات تُشكّل بمجموعها الملذّات الجسديّة، وهي وإن كانت ضروريّة في الإطار المشروع لحياة الإنسان، لكن الاقتصار عليها وترك المعنويات لا يعدو بالإنسان عن طور البهيمة وهي الأكل والشّرب والتّمتّع..

البُعد الثّاني: اللّذّات الوهميّة أو الخياليّة

هنالك بعض الأشخاص لا يُبدون علاقة معيّنة باللّذّات الجسدية، فليس المهم عندهم الطّعام أو الشّراب أو الفراش الوفير أو البيت المؤثّث، لكنه تشغله اللّذات الخيالية، مثل التّفكير بالزّعامة والرّئاسة وما أشبه..

البُعد الثّالث: راحة الضّمير

هنالك بُعد آخر في الشّخصية هو الضّمير.. فقد يكون البعض غارقاً في الملذّات والنِّعم ولكنه يفتقد راحة الضّمير، وقد يكون هنالك شخص محروم من كلّ مقوّمات الحياة لكنه يحمل معه ضميراً مرتاحاً ونفساً مطمئنة..

والملذّات الجسديّة والملذّات الخياليّة لا تُساوي راحة الضّمير، كما أنّ راحة الضّمير لا تلازم توفّر الملذّات الجسدية والملذات الوهميّة والخياليّة.

البُعد الرّابع: السّمعة الحسنة

من أبعاد الشّخصيّة في الإنسان: السّمعة الحسنة، فإنّه يمكن للإنسان أن تكون له سمعة حسنة في الحاضر وتبقى له السّمعة الطّيّبة كلّما ذكر اسمه على امتداد التّاريخ، وهنالك بعض الأفراد يفتقدون هذه السّمعة الطّيّبة بين النّاس، وربما كان البعض يحمل معه سمعة سيّئة والعياذ بالله..

النّبي إبراهيم -عليه السلام- طلب من الله تعالى السّمعة الحسنة، فجاء في الآية الكريمة على لسانه: (وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)(٥).

البُعد الخامس: الذّرّية الطّيّبة..

تشكّل الذّرية امتداداً للإنسان وبُعداً من أبعاد شخصيته ..

.. فالذّرّية تواصل خط الإنسان في الحياة، لكن بشرط أن تكون هذه الذّرّية طيبة صالحة.

البُعد السّادس: الخط الفكري

الإنسان له خطّ فكري ومنهج يسلكه ويدعو له، وهذا من أبعاد شخصيّته، ونلاحظ أنّ كثيراً من الناس يضحّون بكل شيء في سبيل خطّهم الفكري وفي سبيل عقيدتهم.

البُعد السّابع: الآخرة

هذا البُعد هو الأهم في شخصيّة الإنسان، لأنّ الأبعاد الآنفة الذّكر كلّها مؤقّتة وتنتهي، بينما البُعد الذي لا ينتهي هو بُعد الآخرة.

قال -تعالى-: **(فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ)**(٦).

وعندما نُريد أن نقيّم شخصيّة معيّنة يلزم أن نقيّمها من خلال هذه الأبعاد جميعاً، حيث: بُعد اللّذّات الجسديّة، وبُعد اللّذّات الوهميّة، وبُعد راحة الضّمير، وبُعد السّمعة الحسنة، وبُعد الذّرّية، وبُعد الخط الفكري، وبُعد الآخرة.

وبعبارة أدق: لا يصح أن نقتصر في تقييم الشّخصيّة على البعدين الأوّلين اللّذّات الجسدية واللّذّات الوهمية ـ فحسب.

إذا عرفنا هذه الحقيقة نعود إلى شخصيّة أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ومعاوية، فتلاحظ الفرق الشّاسع بين الشّخصيّتين.. وحينئذ تعرف الحق عن الباطل.

نعم أقصى ما يُقال عن معاوية: إنّه ربما ربح جانباً من البُعدين الأوليين ولكنه خسر الدّنيا والآخرة، ففي بُعد اللّذّات الجسديّة تمتّع معاوية بالدّنيا وشهواتها عبر السّيطرة على الحكم والظّلم والاستبداد.

سأل شخص معاوية ذات مرّة: لماذا قاتلت عليّاً -عليه السلام- مع أنّك كنت

تعرف بأنّ عليّاً -عليه السلام- على الحق؟

إنّ أمير المؤمنين -عليه السلام- كان على الحق من النّاحية الشّرعيّة فإنّه وصي رسول الله -صلى الله عليه وآله- بتعيين منه يوم الغدير وفي مواقف عديدة أخرى، ومن النّاحية الظّاهريّة أيضاً لانتخابه من قبل الأمّة وبيعتهم له..

فأجابه معاوية: أتعلم لماذا؟

قال: لا ..

قال: لكي يكون خاتمي مكان خاتمه في الرّسائل التي ترتبط بالشّؤون العامّة، يعني أنا أكون الحاكم والزّعيم.. وهذا ما يسمّى بحب السيطرة.

هل بقيت اليوم ذرّيّة لمعاوية تُعرف على وجه الأرض؟

بل هل يوجد ذرّيّة لبني أميّة يعرفون على وجه الكرة الأرضيّة؟

نحن لا نعرف الآن على المعمورة منهم أحداً، ولا المؤرّخون العارفون بالأنساب يعرفون شخصاً واحداً يعود نسبه إلى بني أميّة، فأين ذهبوا؟

في مقابل ذلك نجد ذرّيّة الإمام علي -عليه السلام- منتشرين في كل أرجاء البسيطة، وفيهم العلماء ومراجع التّقليد وفيهم الزّهّاد وفيهم العُبّاد وفيهم الرّجال الأخيار الطّيّبون وفيهم العباقرة، وقد بشّر القرآن الكريم بهذا الخير الكثير في الآية المباركة: **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)**(٧)..

أين راحة الضّمير عند معاوية؟ فإنّه كان يعرف أنّه على باطل وأنّه ظالم، والشّخص الذي يعرف ببطلانه وظلمه يشعر دائماً بوخز الضّمير.

وأين السّمعة الطّيّبة في التاريخ؟

ربما يصح أن نقول بأنّ معاوية حكم الأجساد فترة من الزّمن، لكن الإمام علياً -عليه السلام- مازال يحكم القلوب منذ ألف وأربعمائة عام، وسيبقى ذلك إلى يوم القيامة..

إنّ المنائر تؤذّن باسم أمير المؤمنين -عليه السلام- يوميّاً عدّة مرّات وتقول: (أشهد أنّ

عليّاً وأولاده المعصومين -عليهم السلام- حجج الله).

لننظر إلى المرقد الطّاهر للإمام علي -عليه السلام- ثم نلقي نظرة إلى قبر معاوية في الشّام وهي عبارة عن مزبلة لا يُهتدى إليها.

قال الشّاعر محمد المجذوب في قصيدته التي تربو على خمسين بيتاً، وإليك مقتطفات منها:

أيـن القصـور أبا يزيـد ولهوها ... والصّافنات وزهوها والسـؤدد

أيـن الدّهـاء نحـرت عزته على ... أعتـاب دنيـا سـحرها لا ينفد

أثـرت فانيهـا على الحـق الذي ... هو لو علمـت على الزمان مخلد

تلك البهارج قد مضت لسبيلها ... وبقيـت وحـدك عـبرة تتجدد

هذا ضريحك لو بصرت ببؤسـه ... لأسـال مدمعك المصير الأسود

كتـل من الـترب المهـين بخربة ... سـكر الذباب بها فـراح يعربد

خفيـت معالمهـا عـلى زوارهـا ... فكأنهـا في مجهـل لا يقصـد

ومشى بها ركب البلى فجدارها ... عـار يكاد من الضراعة يسـجد

أأبـا يزيـد لتلك حكمـة خالق ... تجلى عـلى قلب الحكيم فيرشـد

أرأيـت عاقبـة الجمـوح ونزوة ... أودى بلبـك غيهـا المـتردد

أغـرت بالدنيـا فرحت تشـنها ... حرباً عـلى الحق الصراح وتوقد

تعـدو بهـا ظلـماً على مـن حبه ... ديـن وبغضـه الشـقاء السرمد

علـم الهـدى وإمـام كل مطهر ... ومثابـة العلـم الـذي لا يجحد

ما كان ضرك لو كففت شواظها ... فسـلكت نهج الحـق وهو معبد

ولزمـت ظل أبي تراب وهو من ... في ظله يرجى السـداد وينشـد

وهكذا مصير الطّغاة، فأين بنو أمية؟

وأين بنو العباس؟

وأين قبورهم؟

أين قبر المأمون؟

أين قبر المعتصم؟

أين قبر المتوكل؟

لا تجدون لهم قبراً، ولا ترون لهم ذكراً حسناً.

حينما لا تجد قبوراً لبني أمية وبني العباس، فكيف بزوّارهم، وكيف بذراريهم.

وهكذا تلاحظ الأمور بجميع جوانبها وامتداداتها..

فأين راحة الضّمير؟

وأين الذّكر الحسن؟

وأين الذّرّية الطّيّبة؟

وأين الخط الفكري الصّحيح؟.

نعم كل هذه الفضائل اجتمعت في علي أمير المؤمنين -عليه السلام- دون معاوية ..

الخط الفكري للإمام علي -عليه السلام- هو الذي ما زال حاكماً، يتعلّم منه الأحرار سُبُل العدالة والتّقدّم، فأين ذهب خط معاوية؟

والأهم من كل ذلك البُعد الأخروي؟

فإنّ أمير المؤمنين علياً -عليه السلام- هو قسيم الجنة والنار، وفي أعلى علّيين مع رسول الله -صلى الله عليه وآله- ولكن معاوية أين؟

إنّ معاوية حكم أربعين عاماً وتمتّع في هذه الحياة الدّنيا ببعض الملذّات العابرة، والقرآن الكريم يقول: (**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ**)(٨)..

والآخرة هي حياتنا الواقعية، فماذا قدّم هؤلاء (**يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي**)(٩)..

وفي بعض الرّوايات إنّ معاوية من أصحاب التّابوت(١٠).

وما أدراك ما أصحاب التّابوت؟.

إنّ أشدّ النّاس عذاباً في نار جهنم هم أصحاب التّابوت.

فلو فرضنا أنّ البعض تمتّع بشيء من الحياة الدّنيا ولفترة قصيرة، فأين ذهبت الآخرة؟

يُروى أنّه في الأيّام الأخيرة من حياة معاوية دخل عليه أحد الصّحابة وكان معاوية في وضع متدهورٍ للغاية، فقبل أن يدخل عليه هذا الصّحابي أراد معاوية أن يبدي تجلّده فأمر بأن يُكحّلوه وأن يدهنوا شعره، وكان ذلك متعارفاً فيما مضى، وأن يطيّبوه، ثم أمر بأن يجلسوه، بعدها أذن لذلك الصّحابي في الدّخول، وعندما دخل عليه ذلك لم يتمالك معاوية نفسه أن أنشأ بيتاً من الشعر وربما أكثر وقال:

بتجلـدٍ للشـامتين أُريهـمُ بتجلـدٍ للشـامتين أُريهـمُ

فقال له ذلك الصّحابي فوراً:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيـت كل تميمـة لا تنفع

نعم إذا جاء الأجل انتهى كل شيء، ولا يجدي التّجلّد والتّمائم والعوذات والأدوية نفعاً.

وفي المقابل نجد ما قاله أمير المؤمنين -عليه السلام- عندما تعرّض لضربة ابن ملجم -لعنه الله- قال: (**فُزت ورب الكعبة**)(١١).. قال ذلك عندما ضربه ابن ملجم بالسّيف على رأسه الشّريف..

وهذه الكلمة تعني الرّاحة الأبدية.. وهذا هو الفوز والنّجاح الكبير.

نعم هذا هو الإمام عليٌ أمير المؤمنين -عليه السلام-..

وهذا هو معاوية!!

ويلزم علينا أن ننتخب بين المنهجين، فهل المنهج الذي يهتم باللذائذ الجسديّة العابرة على حساب ظلم الآخرين، أو اللّذائذ الوهمية على حساب الآخرة وخسارتها، بل خسارة كل شيء، أم المنهج الذي يعاني بعض المتاعب الطّفيفة ولكنه يربح كل شيء ويفوز بسعادة الدّارين ؟ فأيهما يختاره الإنسان؟.

نسأل الله -سبحانه وتعال-ى أن يبصّرنا في ديننا ودنيانا، حتى نعرف حقيقة هذه الدّنيا، وأن لا نغتر بزبرجها وزخرفها الخادع، إنّه على كلّ شيء قدير، وصلى الله على محمد وآله الطّاهرين.

الهوامش:

١. سورة المسد: ١-٢.

٢. انظر بحار الأنوار/ للعلامة المجلسي/ الناشر مؤسسة الوفاء/ بيروت. الطبعة الثانية/ سنة ١٤٠٣ه/ ج/ ٤٤ ص٤٩/ وفيه: (فلما استتمت الهدنة على ذلك سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتامر عليكم..، وقريب منه ما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج٥٩ ص١٥٠، وغيره.

٣. انظر (شرح مائة كلمة) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين-عليه السلام- / ابن ميثم البحراني/ نشر منشورات جماعة المدرسين/ قم/ ص٢٢٨ .

٤. روض الجنان/ روض الجنان/ للشهيد الثاني/ نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ قم/ ص٢٧.

٥. سورة الشعراء: ٨٤.

٦. سورة آل عمران: ١٨٥.

٧. سورة الكوثر: ١.

٨. سورة الروم: ٧.

٩. سورة الفجر: ٢٤.

١٠. انظر معالم الزلفى/ السيد هاشم البحراني/ تحقيق: مؤسسة إحياء الكتب

الإسلامية: ج٣ / ص٣٢٨ / وفيه: (إن في التابوت الأسفل ستة من الأولين وستة من الآخرين، والستة من الآخرين: فنعثل ومعاوية وعمرو بن العاص...).

١١. خصائص الأئمة/ للشريف الرضي/ نشر مجمع البحوث الإسلامية/ الآستانة الرضوية المقدسة مشهد/ ١٤٠٦هـ/ ص٦٣.

وقفة مع واقعة الغدير

معاني سالم/ كاتبة

إنّ الغدير هو يومٌ عظيم من أيّام الله -سبحانه وتعالى-، وكيف لا يكون كذلك والله تعالى يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا)(١)، فالإسلام لم يكن مرضياً لله -سبحانه وتعالى- بدون الغدير، إنّ إسلاماً بلا غدير لا يرضاه الله -سبحانه وتعالى-، ولذلك فإنّ هذا اليوم يُعدّ يوماً من أيّام الله فينبغي تذكّره والتّذكير به، وحديثنا حول هذا اليوم العظيم يكون ضمن محورين:

المحور الأوّل: ثبوت واقعة الغدير..

المحور الثّاني: واقعة الغدير وتعيين المرجعيّة الدّينيّة للأمّة بعد النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-..

المحور الأول: ثبوت واقعة الغدير

إنّ واقعة الغدير تُعدّ إحدى القضايا التّاريخية الثّابتة التي لا يعتري ثبوتها أي ريبٍ أو شكّ، بل لا يمكن أن تقع مثاراً للشّك أو التّرديد..

لقد بذل العلّامة الأميني-رحمة الله تعالى عليه- أربعين عاماً من عمره، وتحمّل أنواع المحن والآلام والمشاق، وقام برحلات إلى بلاد بعيدة، من أجل تأليف موسوعة (الغدير)، التي تقع في أكثر من عشرة مجلّدات، وفي هذا الكتاب تناول قضية الغدير سنداً ودلالةً ومن أبعاد مختلفة وبنفَسٍ طويل.

إنّ موسوعة الغدير كافيةٌ لإثبات واقعة الغدير سنداً ودلالةً،

من يراجع (الغدير).. يجد أنّ أئمّة المفسّرين عندما يأتون إلى آية (اليوم أكملت لكم دينكم) يُضطرّون إلى تناول قضية الغدير، وأيضاً أئمّة المحدّثين ومنهم مسلم في صحيحه، عندما يأتون إلى واقعة الغدير يضطرّون إلى ذكر هذه القضيّة، وأئمّة المؤرّخين، فهذا تاريخ.. والتاريخ يجب أن يعكس الحقائق التّاريخية وحتى المتواضعة، فكيف بقضيّة من هذا الحجم الكبير، فعندما يأتون على ذكره يتناولون حديث الغدير وواقعة الغدير كونها واقعة تاريخية، واللّغويون عندما يأتون إلى اللغة ومنهم ابن

منظور الإفريقي وغيره، وإلى مادّة (غين) و (دال) و (راء) غدير، أو إلى مادّة (خُم) أو ما أشبه ذلك يُضطرّون إلى تناول هذا الحديث.. وهؤلاء أئمة اللغويين وأئمة المفسّرين وأئمة المؤرّخين وأئمّة الحديث كلّهم مذكورون في الغدير، فرداً فرداً.

والغدير بحر ولا يمكن لكلّ شخصٍ أن يُطالع هذا الكتاب ليرى ماذا قالوا في الغدير، حتى أنّ أبا بكر وعمر وعثمان رووا حديث الغدير، وحتى عائشة بنت أبي بكر روت حديث الغدير، كما رواها أبو هريرة، ونقل الحديث كذلك مائة وعشرة من صحابة النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-، يذكرهم العلّامة الأميني -رحمه الله- فرداً فرداً، طبعاً.. الحديث رواه معظم الذين حضروا في غدير خم، إذ حضره على بعض الأقوال ثمانون ألفاً، أو مائة ألف، أو مائة وعشرون ألفاً، أو مائة وأربعة وعشرون ألف شخص، أو ربما يكونون أكثر من ذلك على اختلاف الأقوال، فهؤلاء المائة والعشرون ألف صحابي يعودون إلى أوطانهم في الحجة الأخيرة وهي حجّة الوداع للنبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- ألا ينقلون هذا الحديث؟ إنّ كل واحد منهم سينقل هذا الحديث.

إنّ رواة الغدير يجب أن يكونوا أكثر من مائة ألف، ولكن رغم كل التّعتيم وكل الإبادة للحديث النبوي، فإنّ الذين رووا حديث الغدير مائةٌ وعشرةٌ من صحابة النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- وأنّ أسماءهم مذكورة جميعاً في كتاب (الغدير).

المحور الثاني: واقعة الغدير وتعيين المرجعية الدينية للأمّة بعد النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-

الحديث حول هذا المحور يكون ضمن نقطتين:

إنّ الحاجة إلى المرجعيّة الدّينيّة بعد رحيل النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- هي نفس الحاجة إلى النّبوّات والرّسالات الإلهية، فلماذا تحتاج البشرية إلى الأنبياء-عليهم السلام-؟

إنَّ الله -تعالى- جعل الخليفة قبل الخليقة، فأوّل كائن وأول بشر على وجه الأرض كان

نبيّاً، وكانت هنالك أمة مشكّلة من فردين في البداية أحدهما نبي، وهو أبونا آدم وأُمّنا حواء -صلوات الله عليهما-، فما هي الحاجة إلى آدم -عليه السلام-؟ وما هي الحاجة إلى إبراهيم -عليه السلام-؟ وما هي الحاجة إلى نوح -عليه السلام-؟ وما هي الحاجة إلى خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وآله-؟

هنالك قاعدة يُقال لها (قاعدة اللّطف): واللّطف يعني أنَّ الله -تعالى- لطيف بعباده، ومن لطفه ورحمته أنّه يُقرّبهم لما فيه مصالحهم الواقعية ويبعدهم عمّا فيه مفاسدهم الواقعية، ومقتضى اللّطف أنّ الله -تعالى- يقرّب عبيده إلى مصالحهم الواقعية، ويُبعدهم عن مفاسدهم الواقعية.. ومن هنا كان بعث الأنبياء وإرسال الرّسل، وتعيين الأوصياء.

والسّؤال هنا: ألا يكفي العقل لتحقيق هذه المهمّة؟

إنّ العقل يُبيّن الخطوط العريضة، وهي لا تكفي لسعادة الإنسان في الدّنيا ولا في الآخرة، ولدى العقل مجموعة يُسميها الأصوليون (المستقلّات العقلية): الظّلم قبيح، العدل حسن، رد الوديعة جيد... كلّيات يقولها العقل، وخطوط عريضة لا تكفي بوحدها لسعادة الإنسان في هذه الحياة، أمّا في التّفاصيل، فإنّ العقل يقول عن كثير من الأشياء: لا أعلم...!

يقول الشّيخ الأعظم ـ الأنصاري ـ رحمه الله- في (الفرائد) كلاماً لعلّ مضمونه: إنّ العقل لا يحكم على مجهول، ليضع أحدكم شيئاً في يده ويسأل الآخر، ماذا في يدي؟ سيقول: لا أدري، فالعقل لا يحكم على مجهول، فالعقل ليس فقط يجهل الآخرة ومعادلاتها ويجهل أيّاً من المقدّمات التي تؤدّي إلى أيٍّ من النّتائج، وهذا واضح، فالآخرة غيب مطلق والعقل عاجز عن اكتناه الآخرة بأيّ نوع من أنواع الاكتناه، ولا يعلم أنّ أيّ مقدّمة تؤدّي إلى أيّ نتيجة، وأيّ علّة تؤدّي إلى أي معلول، بل حتى في هذه الدّنيا فإنّ العقل يعطي كلّيّات.. فالأنبياء -عليهم السلام- يأتون ليُبيّنوا التّفاصيل الجزئية، والقرآن الكريم يحتوي على كلّيّات تتكفّل سعادة الإنسان بنحو كلّيّ.. (لا

تَظلمون ولا تُظلمون)، وهذه قاعدة، ولكن ما هي مصاديق الظّلم والعدل؟ هنا يقول العقل في كثير من الأحيان: لا أعلم.

تعيين المرجعية إكمال للتّشريع

اليوم يعيش عقلاء العالم في البرلمانات والمجالس التّشريعيّة حالة تناقض، فكل المجالس التّشريعيّة العالمية متناقضة، فالمجلس التّشريعي الواحد يقرر قانوناً ثم ينقض القانون ثم يعود إلى القانون الأوّل ثم ينقضه!، بينما القرآن الكريم يبيّن الكلّيّات ويبيّن المجملات، فما هو النّظام السّياسي؟ إنّه موجود في القرآن الكريم، ولكن على نحو الإجمال، فإذا توجد اليوم آلاف الأسئلة في عالم السّياسة، فإنّ القرآن الكريم يحتوي على أجوبتها جميعاً لكن على نحو الإجمال، وكذلك بالنّسبة للنظام الاقتصادي العالمي، فاليوم تُطرح عليكم آلاف الأسئلة الاقتصاديّة، وفي القرآن الكريم يوجد نظام اقتصادي ولكنه على شكل كلّيّات، فمَن الذي يُجيب عن هذه الأسئلة؟

إنّه النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- وآل بيته الطّيّبين الطّاهرين -عليهم السلام- وكما نعلم في الفترة المكيّة، كان الضّغط على النّبي -صلى الله عليه وآله- إلى أبعد الحدود، ولم تكن هنالك تشريعات بالشّكل الكامل، فقد امتدّت المرحلة المكيّة ثلاثة عشر عاماً، فيما امتدّت المرحلة المدنية عشرة أعوام، تخلّلها أكثر من ثمانين حرباً أو غزوة أو ما أشبهها، فلم يكُن ثمّة فرصة لبيان جميع التّفاصيل وجميع التّساؤلات، فمن هو المُبيّن؟ ومن هو الذي يُجيب على تساؤلات الأمّة؟ ومن هو الذي يُجيب على تساؤلات التاريخ؟ إنّه الإمام بعد النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-، والغدير قام بهذه المهمّة، وهو تعيين المرجعية للأمّة بعد النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-، وحديث الثّقلين المذكور في صحيح مسلم، يشير إلى هذا المعنى (**كتاب الله وعترتي**) جاء في صحيح مسلم رقم الحديث (٢٤٠٨).

المحدّث المشهور الشّيخ ناصر الدين الألباني هو من كبار محدّثي العامة في هذا العصر،

كتب كتاباً، من الجيد والمفيد اقتناؤه، وهو تحت عنوان: (سلسلة الأحاديث الصّحيحة) الجزء ٤ صفحة ٣٥٥ رقم الحديث (١٧٦١)، والألباني مع إنّه في أماكن متعددة ـ وقد تتبعته ـ يحاول أن يخفي فضائل أهل البيت-عليهم السلام- ويضيّع فضائلهم، حتى بات العثور على حديث واحد في هذا الكتاب صعباً جدّاً، ولكن مع ذلك يؤكد على صحّة هذا الحديث من عدّة طُرق، وله شواهد من أحاديث أخرى.

لذا فالأمّة بحاجة إلى مرجع وبحاجة إلى مرجعيّة، ولكن ماذا صنعت الأمّة بهذه المرجعيّة التي أكّد عليها النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- في حديث الثّقلين وحديث الغدير: (من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)؟، أي نفس المكانة التي أنا عليها اليوم ستكون لعليٍّ من بعدي (**إنّي يوشك أن أُدعى فأجيب**)، أنا سأودّعكم... فهو مثل حاكم دولة يصعد المنبر ويقول: أنا سأموت وفلان... هو مولاكم، فإن كنت مولاكم، فإنّ هذا مولاكم من بعدي، فماذا يعني هذا؟ اسألوا عن هذا الموضوع أي شخص يتقن اللّغة العربية، بل حتى إن لم يكن يعرف اللّغة لأنّ معناه واضح، (**إنّي يوشك أن أُدعى فأجيب**)، (**من كنتُ مولاه**)، (**ألستُ مولاكم ألستُ أولى بكم من أنفسكم قالوا نعم، قال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه**)، أي إنّ نفس الموقع الذي عندي أنا اليوم يكون لعلي بن أبي طالب من بعدي، فهل أخذت الأمّة بهذه المرجعيّة؟

نعم.. أخذ بها شيعة أهل البيت -عليهم السلام-، وماذا عن الآخرين، هل أخذوا؟ الجواب مع الأسف: كلّا.

أذكر لكم مثالاً واحداً: ابن حجر في مقدّمة (فتح الباري) يذكر هذه الأرقام حول صحيح البخاري، والأحاديث المرويّة في صحيح البخاري عن أنس بن مالك خادم النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-، علماً إنّ النّبي -صلى الله عليه وآله- لم يقل خذوا دينكم من أنس، ولم يقل: أقضاكم أنس، ولم يقل أنا مدينة العلم وأنس بابها.

لكن البخاري يروي عن أنس مائتين وثمانية وستين حديثاً، وهذا ليس عمل

البخاري فقط، بل أنتم افتحوا الإذاعات والفضائيّات، فكم ينقلون عن الحسن والحسين -عليهما السلام- سبطي رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وهل يوجد سبط للنبي -صلى الله عليه وآله- لهذه الأمّة غير الحسن والحسين -صلوات الله عليهما-؟

أهذه هي المودّة في القربى؟ وقد قال النبي -صلى الله عليه وآله-: (**كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا**) أهذا هو التّمسّك؟ وينقل عن أبي هريرة أربعمائة وستة أحاديث، وينقل عن علي أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- هذا الذي قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- فيه: (**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها**) (٢) وقال فيه النّبي-صلى الله عليه وآله-: (**أعلمكم علي**)(٣) (**أقضاكم علي**)(٤)، أتدرون كم حديثاً ينقل؟ تسعة وعشرين ! حديثاً.

أهذه هي المرجعيّة الدّينيّة؟ أهذا هو حديث الثّقلين؟ أهذا هو قول الله -تعالى-: (**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)(٥) ؟

مسؤوليتنا أزاء الغدير وأمير المؤمنين -عليه السلام-

إنّ نبيّنا الأعظم -صلى الله عليه وآله- هو الوحيد ـ في ما نعلم ـ الذي طلب بين جميع الأنبياء أجراً على رسالته: (**مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**)(٦).. (**مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ**)(٧)، إنّه أجر واحد وهو المودّة في القربى، (**قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) (٨).. وعليٌ -عليه السلام- يعيش مع الأمّة ثلاثين عاماً بعد وفاة النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-، وأكثر من أربعة أعوام كان حاكماً ويخطب، خطبة واحدة من خُطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كما ينقل بعض المؤرخين، استمرّت من بعد صلاة الصّبح وحتى الظّهر، يقول الشّاعر: نهج البلاغة قطرةٌ من علمه. فأين نهج البلاغة في الإذاعات وفي الصّحف؟ أهؤلاء يحبّون أهل البيت -عليهم السلام-؟ وهل التّهميش دلالة على حُب أهل البيت -عليهم السلام-؟ أم إلغاء لأهل البيت وإقصائهم عن الحياة..؟

إنّ نهج البلاغة يجب أن يكون مفخرة، ويجب أن يُتلى في الفضائيّات، ذلك الأستاذ في جامعة (كمبردج) الامريكية يقول: لو طَبّق المسلمون ما جاء في نهج البلاغة لسادوا العالم.

نهج البلاغة مفتاح لحلّ المشكلات

نحن أيضاً لدينا إهمال، فكم بذلنا من الوقت لمطالعة نهج البلاغة؟ وهو مفتاح لحل مشكلات الحياة.. المشكلات الفكرية والمشكلات الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية. البعض يتوجّه إلى ما قاله أرسطو وأفلاطون وسقراط، فيما المتصل بالوحي موجود.. من هنا يجب علينا أن نعود إلى هذه الثّروة العظيمة والموجودة بين أيدينا..

الهوامش:

١. سورة المائدة: ٣.

٢. بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ١٠ / ص١٢٠.

٣. المصدر نفسه / ج ٤٠ / ص ٣٠٦.

٤. المصدر نفسه/ ج ٢٩ / ص١٣.

٥. سورة الشورى: ٢٣.

٦. سورة الفرقان: ٥٧.

٧. سورة سبأ: ٤٧.

٨. سورة الشورى: ٢٣.

وعليٌّ آلي

علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض

٦٢
رجب الأصب ١٤٣٦هـ

الإرهاب دين أعداء علي عليه السلام

صباح الصافي/ باحث اسلامي

اختُلف في تعريف الإرهاب، وخصوصاً في الأزمنة المتأخّرة، فقد حاول بعض المفكّرين تعريف الإرهاب، والأعمال الإرهابيّة، كما حاولت بعض الاتفاقيّات الدّولية والإقليمية لتعريف الإرهاب وما يتّصل به من أعمال، ومن ضمن التعريفات:

١- " القتل، والاغتيال، والتّخريب، والتّدمير، ونشر الشّائعات، والتّهديد، وصنوف الابتزاز، والاعتداء ... وأي نوع يهدف إلى خدمة أغراض سياسية واستراتيجية، أو أي أنشطة أخرى تهدف إلى إشاعة جو من عدم الاستقرار، والضّغوط المتنوّعة".

٢- " تهديد باستخدام العنف ضد أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهديد الحرّيّات الأساسية للأفراد لأغراض سياسية بهدف التّأثير على موقف أو سلوك مجموعة مستهدفة بغض النّظر عن الضّحايا المباشرين".

٢- " الإرهاب كل فعل من أفعال العنف أو التّهديد أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرّعب بين النّاس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضّرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامّة أو الخاصّة، أو اختلاسها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".

٤- " العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التّخويف والأذى، والتّهديد والقتل بغير حق، وما يتّصل بصور الحرابة وإخافة السّبل، وقطع الطّريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التّهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرّعب بين النّاس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حرّيّتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضّرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامّة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطّبيعيّة للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض الذي نهى الله -سبحانه وتعالى- عنه".

ولكن هناك شبه اتفاق على أنّ من مصاديق الإرهاب: الاعتداء بشتّى الصّور على الإنسان غير المحارب، أو الملقي لسلاحه..

وقد امتاز أعداء أهل البيت -عليهم السلام- بمجموعة من الرّذائل والظّلم والتّعدّي على الآخرين، كان من أبرزها الإرهاب بحق محبّي وشيعة أهل البيت -عليهم السلام- بحيث لم يكن له مثيل في الحياة.

فتعدّدت طرق التّرهيب والتّعذيب والعنف.. من منع الطّعام والشّراب.. إلى سجن الأبرياء.. إلى الضّرب بالسّياط وما شابه.. إلى قطع الأيدي والأرجل.. إلى سمل العيون وقطع الألسن.. إلى تسميم المُعارضين واغتيالهم بسهام الجن؟! .. إلى إحراق البيوت وإسقاط الأجنة وضرب النّساء والأطفال.. إلى قطع الرّقاب وحمل الرّؤوس .. إلى التّمثيل بالأجساد وانتهاك حرمة الميّت بشتّى الصّور .. إلى التّشريد والتّهجير ومصادرة الأموال.. إلى هتك الأعراض.. إلى سبي النّساء والأطفال.. إلى حالات بعيدة عن الإنسانية كل البعد بحيث لا يستسيغ الإنسان ذكرها، ويتصور أنّها حدثت في عالم أسوء من عالم الغاب والوحش.

هذا من جانب التّنفيذ .. ومن جانب آخر امتاز جانب التّنظير المتمثّل بعلماء السّوء ليغطّي على كل تلك الجرائم البشعة بحق الإنسانية، سواء المتواجدون في فترات حكمهم، أم من جاء من بعدهم وسار بظلالهم وضلالهم، في محاولة خبيثة لتلميع صورة الظّلمة والطّغاة وسيرتهم، والتّغطية على كل تلك الجرائم التي أوقعها سلفهم الضّال في حقّ أهل البيت -عليهم السلام- وشيعتهم، فضلاً عن تزوير الحقائق وطمسها، إلى غيرها من المكر والخداع ..

وكان لمعاوية قصب السّبق في كثير مما تقدّم، فقد أسّس مجموعة من الاعتداءات على أمير المؤمنين علي -عليه السلام- وشيعته ومحبّيه، لم يعرفها العهد الإسلامي من قبل، كان منها:

الحصار الاقتصادي:

هكذا تكون سيرة فاقدي الإنسانيّة، فإنّهم يقومون ببعض الطّرق المُخزية في التّعامل مع من يعادونهم، ولا يكتفون في إهلاك أعدائهم وقتلهم .. بل يجمعون الأمر على عيالهم ونسائهم.. وقد مرّ بالمسلمين المخلصين حالات جرت عليهم على يد الطّغاة، ابتداءً من المشركين بقيادة عتبة بن شيبة جد معاوية، وأبي سفيان والد معاوية، وغيرهم، في حصار شعب أبي طالب -عليه السلام-.. وانتهاءً إلى حصار المدينة المنوّرة والبصرة وغيرها:

• **حصار المدينة المنوّرة:**

كان ثابت بن قيس بن الخطيم من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله- الأشدّاء وقد شهد معه أُحُداً والمشاهد بعدها، وقد جُرح في يوم أُحُد اثنتي عشرة جراحة، وكان شديد النّفس، وكان له بلاء مع علي بن أبي طالب -عليه السلام- واستعمله علي -عليه السلام- على المدائن، فلم يزل عليها حتى قدم المغيرة بن شعبة الكوفة، فكان معاوية يتّقي مكانه، فانصرف ثابت بن قيس إلى منزله، فوجد الأنصار مجتمعة في مسجد بني ظفر يريدون أن يكتبوا إلى معاوية في حقوقه أوّل ما استخلف، وذاك أنّه حبسهم سنتين أو ثلاثاً لم يعطهم شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نُريد أن نكتب إلى معاوية، فقال: ما تصنعون أن يكتب إليه جماعة، يكتب إليه رجل منا فإن كانت كائنة برجل منكم فهو خير من أن تقع بكم جميعاً وتقع أسماؤكم عنده، فقالوا: فمن ذاك الذي يبذل نفسه لنا؟، قال: أنا، قالوا: فشأنك، فكتب إليه وبدأ بنفسه فذكر أشياء منها نصرة النبي -صلى الله عليه وآله- وغير ذلك وقال: حبستَ حقوقنا واعتديتَ علينا وظلمتنا وما لنا إليك ذنب إلّا نصرتنا للنبي -صلى الله عليه وآله-، فلمّا قدّم كتابه على معاوية دفعه إلى يزيد فقرأه ثم قال له: ما الرّأي؟ فقال: تبعث فتصلبه على بابه!، فدعا كبراء أهل الشّام فاستشارهم فقالوا: تبعث إليه حتى تقدم به ههنا وتقفه لشيعتك ولأشراف الناس حتى يروه ثم تصلبه..(١).

حصار البصرة:

ولما حبس معاوية الميرة - أي الطعام - عن أهل البصرة كتب إليه أهلها فلم يقرأ من كتبهم إلّا كتاب الأحنف فكان فيه: يا أمير.. خبزاً خبزاً، فإنّ الجائع أدنى همّه نجران، وإنّ الشّبعان لا يجاوز همّه سفوان(٢).

والشّام أيضاً:

حتى الشّام لم تسلم منه، فقد روى ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن أبي مسلم الخولاني: أنّ معاوية خطب النّاس وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة(٣).

وفي صفّين:

كما أنّ قضية منع معاوية الماء عن جيش أمير المؤمنين -عليه السلام- في صفّين معروفة مشهورة.

وهكذا كان يفعل معاوية ويرى ذلك وكأنّه أمرٌ هين تجبراً على المسلمين، فعن أبي قبيل قال: خطبنا معاوية في يوم جمعة فقال: إنّما المال مالنا والفيء فيئنا، من شئنا أعطينا ومن شئنا منعنا، فلم يرد عليه أحد فلمّا كانت الجمعة الثّانية قال مثل مقالته..(٤).

قتل الأطفال

أمّر معاوية بسر بن أرطأة على جيش للمغير على المناطق التي كانت تحت ولاية أمير المؤمنين -عليه السلام- وذلك في سنة أربعين للهجرة، ونزل المدينة -أو على قول الأكثر اليمن- فذبح ولدي عبيد الله بن العباس، وهما عبد الرّحمن وقثم، فنال أمّهما من ذلك أمر عظيم فأنشأت تقول:

هـا من أحس بنـي اللذين همـا ... كالدّرّتيـن تشظّى عنهما الصّدف

حُدثت بسراً وما صدقت ما زعموا ... من قيلهم ومن الإثم الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابنـي بمرهفـة ... مشحـوذة وكذاك الإثـم يقترف

ثم وسوست فكانت تقف في الموسم تنشد الشّعر وتهيم على وجهها(٥).

ومِمّا يدلّ على أنّ معاوية كان راضياً بما فعله بسر، أنّه لم يقتله قصاصاً بما فعل، بل إنّ عبيدالله بن العباس دخل على معاوية حين استقام له الأمر وطالبه بالقود من بسر، فأجابه معاوية: فاقتل ابنيه بابنيك!(٦).

سبي النّساء المسلمات

قامت البعثة التي بعثها معاوية بقيادة بُسر إلى الحجاز وما والاها بفظائع تهز كيان الإنسان الغيور فضلاً عن المسلم، ومن تلك المخازي التي ارتكبها والي معاوية بسر: سبيه للنساء المسلمات الحرائر ..

ذكر ابن عبد البر: وفي هذه الخرجة التي ذكر أبو عمر الشّيباني أغار بسر بن أرطأة على همدان(٧) وسبى نساءهم فكُنّ أوّل مسلمات سُبين في الإسلام(٨).

معاوية والقتل بالسّم

كان معاوية يتّخذ طُرقاً عديدة لقتل من لا يرغب به، وكثيراً ما كان يغدر بهم وربما قتلهم بالسّم.. وهكذا قام بتصفية عدد من الرّموز الإسلاميّة البارزة، كما قتل غيرهم من الشّيعة، وهذه بعض النّماذج:

١: قتل الإمام الحسن المجتبى -عليه السلام-:

دسّ معاوية السّم لقتل سبط رسول الله -صلى الله عليه وآله- وريحانته وسيّد شباب أهل الجنة: الإمام الحسن بن علي -عليه السلام-.. حيث بعث إلى زوجة الإمام (جعدة بنت الأشعث بن قيس) أن سُمّي الحسن فأزوّجك يزيد ابني، فضلاً عن مال يُعطيها، فدسّت له السّم، فاستشهد الإمام -عليه السلام- مسموماً مظلوماً(٩).

وسرّ معاوية باستشهاد الإمام الحسن -عليه السلام- كثيراً، روي أنّ معاوية لمّا أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك ابن عباس وكان بالشّام يومئذ فدخل على معاوية فلمّا جلس قال معاوية: يا ابن عباس هلك الحسن

بن علي! فقال ابن عباس: نعم هلك إنّا لله وإنّا اليه راجعون، ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسّرور لوفاته(١٠).

٢: قتل مالك الأشتر:

أرسل أمير المؤمنين -عليه السلام- مالكاً والياً على مصر، فلمّا وصل إلى مدينة القلزم دسّ معاوية له السّم بشربة من عسل فمات من يومه أو من غد(١١).

٣: قتل المسلمين صبراً

قتل معاوية جملة من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وآله- وصحابة أمير المؤمنين -عليه السلام- بعد أن أوثقهم وشُدوا بالحديد وجيء بهم من الكوفة إلى الشّام بتلك الحالة، ثم حفر لهم قبوراً وقُتلوا أمامها صبراً حيث شدّوا أيديهم وأرجلهم وذبحوهم ذبحاً، وكان من ذلك:

٤: قتل حجر بن عدي:

قضيّة مقتل الصّحابي الجليل حجر بن عدي ومن معه من المؤمنين مشهورة، وقد بعثهم ابن زياد من الكوفة إلى الشّام مكبّلين بالحديد، وكان مع حجر جماعة قيل: عددهم عشرون رجلاً، وقيل: أربعة عشر، منهم:

الأرقم بن عبدالله الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العريان، ومحرز بن شهاب التميمي، وعبيد الله بن حوبة السعدي التميمي...

ثم اتبع ابن زياد برجلين وهما عتبة بن الأخنس وسعد بن عمران فقتلوا منهم جماعة(١٢).

وكان السّبب في قتل حجر بن عدي ومن معه هو ولاؤهم لأمير المؤمنين علي -عليه السلام- وعدم قبولهم البراءة منه وشتمه ولعنه، حيث أمرهم معاوية وولاته بذلك.

وقال الذّهبي: وقيل: إنّ رسول معاوية جاء إليهم لمّا وصلوا الى عذراء يعرض عليهم التّوبة والبراءة من علي -عليه السلام- (١٣).

وقد أخبر رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأمير المؤمنين -عليه السلام- بهذه الجريمة، وأبلغا بذلك قبل وقوع الحادثة:

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **" سيُقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السّماء"** (١٤).

حمل الرّؤوس من بلد إلى بلد

قال اليعقوبي: وبلغ عبد الرحمن ابن أم الحكم وكان عامل معاوية على الموصل مكان عمرو بن الحمق الخزاعي ورفاعة بن شدّاد فوجّه في طلبهما فخرجا هاربين وعمرو بن الحمق شديد العلّة فلمّا كان في بعض الطّريق لدغت عمراً حية فقال: الله أكبر قال لي رسول الله -صلى الله عليه وآله-: يا عمرو ليشترك في قتلك الأنس والجن، ثم قال لرفاعة: امض لِشأنك فإنّي مأخوذ، وضُربت عنقه ونصب رأسه على رمح وطيف به فكان أوّل رأس طيف به في الإسلام(١٥).

دفن المسلمين أحياءً

كتب معاوية إلى زياد: فإن هذا العنزي(١٦) شر من بعثت به، فعاقبه عقوبته الذي هو أهله، واقتله شر قتلة، فلما قدم به على زياد بعث به زياد على قس الناطف ـ موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ـ فُدفن حياً(١٧).

وقال الزّركلي: من بني ربيعة شجاع قوي المراس.. دعاه معاوية إلى البراءة من علي -عليه السلام- فأغلظ عبد الرّحمن في الجواب فرده إلى زياد فدفنه حيّاً(١٨).

حبس النّساء البريئات وتعذيبهن

روي أنّ آمنة بنت الشريد ـ زوجة عمرو بن الحمق ـ حبسها معاوية في سجن دمشق زماناً، حتى وجّه إليها رأس عمرو بن الحمق فألقي في حجرها فارتاعت لذلك،

ثم وضعته في حجرها ووضعت كفّها على جبينه ثم لثمت فاه ثم قالت: غيبتموه عني طويلاً ثم أهديتموه إليّ قتيلاً فأهلاً به من هديّة غير قالية ولا مقلية(١٩).

هدم الدّور وإحراقها

وكان معاوية يهدم دور المؤمنين ويحرقها ويأمر ولاته بذلك، كما ورد في موارد عديدة، منها:

١. كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة لعلي بن أبي طالب -عليه السلام- فلمّا قدم زياد الكوفة والياً عليها أخافه وطلبه زياد، فأتى الحسن بن علي -عليه السلام- فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم وأخذ ماله وهدم داره(٢٠).

٢. كما هدموا دار حجر بن عدي، حيث ورد أنّ زياد بن سمية هدم دار حجر بن عدي(٢١).

٣. وقال ابن أبي الحديد: ونزل ـ بسر بن أرطأة ـ فأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقي، ودار أبي أيوب الأنصاري ـ وهي أول دار تشرفت بأن سكنها رسول الله -صلى الله عليه وآله- أوّل قدومه من مكة.

تخويف المسلمين وتشتيتهم

قام معاوية بإخافة جمع من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله- وشيعة أمير المؤمنين -عليه السلام- حتى شُرّدوا من مكان إلى مكان، وكان منهم:

قيس بن سعد بن عبادة: قال ابن حبان: خدم النّبي -صلى الله عليه وآله- عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قُبض، وكان على مقدّمة علي -عليه السلام- يوم صفّين ثم هرب من معاوية سنة ٥٨هـ وسكن تفليس(٢٢).

وعمرو بن الحمق الخزاعي: وقد مرّ الكلام عن هروبه إلى الموصل.

كما قام معاوية بإخافة أهل المدينة المنوّرة وتشريد كبارهم ورؤسائهم:

وقد مرّ بعض الكلام في إرسال معاوية لبسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن، وقد فعل فيهما من الأمور العظيمة البشعة ما فعل، علماً أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- قال: **"من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي"(٢٣)، وعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"(٢٤).**

وقال ابن الأثير: بعث معاوية بُسر بن أرطاة.. فسار حتّى قدم المدينة وبها أبو أيّوب الأنصاري عامل علي -عليه السلام- عليها فهرب أبو أيّوب فأتى عليّاً -عليه السلام- بالكوفة ودخل بُسر المدينة.. فأرسل إلى بني سلمة فقال: والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبدالله، فانطلق جابر إلى أمّ سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وآله- فقال لها ماذا ترين: إنّ هذه بيعة ضلال وقد خشيت أن أقتل... وهدّم بالمدينة دوراً، ثم سار إلى مكة فخاف أبو موسى الأشعري أن يقتله فهرب منه وأكره النّاس على البيعة ثم سار إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلي -عليه السلام- فهرب منه إلى علي -عليه السلام- بالكوفة.. (٢٥).

هذا بعض ما عاناه الأئمة-عليهم السلام- وأصحابهم وشيعتهم في عهد معاوية من صنوف التعذيب والإرهاب، ولكن على الرّغم من كل ذلك صمدوا على الحق، واستطاعوا أن يوصلوا إلينا الشّريعة الخالدة لا يشوبها شيء من الإنحراف.

الهوامش:

١. تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي/ الناشر دار الكتب العلمية/ بيروت/ سنة ١٩٩٧م/ ج١/ ص١٨٨.

٢. معجم ما استعجم/ للبكري الأندلسي/ الناشر عالم الكتب/ بيروت/ سنة ١٩٨٣م/ ج٣/ ص٧٤٠.

٣. تاريخ دمشق/ لابن عساكر/ مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/

بيروت/ سنة الطبع ١٤١٥هـ/ ج٥٩/ ص١٦٩.

٤. المصدر نفسه/ ج٥٩/ ص١٦٨.

٥. المصدر نفسه/ ج٣٧/ ص٣٧٨.

٦. المصدر نفسه/ ج٣٧/ ص٤٧٨.

٧. ومعلوم أن قبيلة همدان من القبائل اليمنية الموالية لأمير المؤمنين -عليه السلام- أشد الولاء وقد قال فيها قولته المشهور: "والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلنكم إياها خاصة يامعشر همدان".

٨. الوافي بالوفيات/ للصفدي/ الناشر دار إحياء التراث/ سنة ٢٠٠٠م/ ج١٠/ ص٨٢.

٩. انظر السيرة الحلبية/ للحلبي الشافعي/ مطبعة دار المعرفة/ بيروت/ سنة ١٤٠٠هـ/ ج٣/ ص٣٥٩-٣٦٠.

١٠. انظر الإمامة والسياسة/ للقتيبي/ الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع/ ج١/ ص١٥٠-١٥١.

١١. التاريخ الكبير/ للبخاري/ المكتبة الإسلامية/ ديار بكر تركيا/ ج٧/ ص٣١١.

١٢. البداية والنهاية/ لابن كثير/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ سنة ١٩٨٨م/ ج٦/ ص٢٥٢-٢٥٣ وج٨ ص٥٤-٦٠.

١٣. تاريخ الإسلام/ للذهبي/ الناشر دار الكتب العربي/ بيروت/ سنة ١٩٨٧م/ ج٤/ ص١٩٣.

١٤. كنز العمال/ للمتقي الهندي/ مؤسسة الرسالة بيروت/ سنة ١٩٨٩م/ ج١١/ ص١٢٦وج١٢ ص٥٨٧-٥٨٨.

١٥. تاريخ اليعقوبي/ الناشر دار صادر/ بيروت/ ج٢/ ص٢٣١-٢٣٢.

١٦. وهو عبدالرحمن العنزي أرسل به زياد إلى معاوية مع حجر وأصحابه مكبلين

بالحديد من الكوفة إلى الشام وبعد مقتل حجر وجماعته أرسله معاوية إلى زياد وأمره بقتله شرّ قتلة فدفنه زياد حياً.

١٧. تاريخ دمشق/ ج٨/ ص٢٧.

١٨. الأعلام/ لخير الدين الزركلي/ نشر دار العلم للملايين/ بيروت/ الطبعة الخامسة/ سنة ١٩٨٠م/ ج٣/ ص٣٠٣.

١٩. أسد الغابة/ لابن الأثير/ الناشر دار الكتاب العربي/ بيروت/ ج٤/ ص١٠١.

٢٠. وفيات الأعيان/ لابن خلكان/ طبع دار الثقافة/ بيروت/ ج٦ ص٣٦١.

٢١. تاريخ الطبري/ لابن جرير الطبري/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ ج٤/ ص٥٣٦.

٢٢. الثقات/ لابن حبان/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدر آباد الدكن الهند/ نشر مؤسسة الكتب الثقافية/ الطبعة الأولى/ سنة ١٣٩٣هـ/ ج٣/ ص٣٣٩.

٢٣. مسند أحمد/ الناشر دار صادر/ بيروت/ ج٣ ص٣٥٤.

٢٤. المصنف/ لابن أبي شيبة/ الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/ سنة ١٩٨٩م/ ج٧/ ص٥٥١.

٢٥. الكامل في التاريخ/ لابن الأثير/ الناشر دار صادر بيروت/ سنة ١٩٦٦م/ ج٣/ ص٣٨٣.

علم
المرتضى

أفضليّة الإمام علي عليه السلام

الشيخ عبد العباس الجياشي/ باحث اسلامي

٧٧
صدى الأقصى
رجب الأصب ١٤٣٦هـ

إنَّ مسألة إثبات أفضلية أمير المؤمنين -عليه السلام- ليس صعباً على الباحث، ولكنه صعب على المعاند الذي لا يريد أن يقر بأفضلية شخص الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- .

فهل ترك لنا التاريخ الإسلامي لحظة من لحظاته لم يوثّق لنا منقبة أو سابقة أو حدث أو موقف وتميز لشخصه الكريم على معاصريه بل وحتى من لحقه ولو بقرون؛ لأنّ التّميّز والانفراد والاستثنائيّة توقّفت عند أعتابه، ولا ترضى التّحرّك الى غيره صاغرة.

نعم إنّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-.

فإن ذكرنا العدل كان عنوانه، وإن ذكرنا الشّجاعة كانت ميدانه، وإن ذكرنا العبادة كان لها محراباً، وإن ذكرنا الزّهد كان معناه، وإن ذكرنا الإيثار كان سجيّته، وإن ذكرنا، وإن ذكرنا ..الخ

فكلُّها تعني علياً -عليه السلام-، رجل لله كان ولياً، ولرسوله نفساً وأخاً ووزيراً ووصيّاً وصهراً، ولأبناء الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أباً بل وللأمة كذلك، وللأيتام كافلاً، وللدنيا مطلّقاً، وللعلم جامعاً، وللبلاغة صانعاً، وللمعروف آمراً، وللمنكر ناهياً، وللصّلاة قائماً، ولكتاب الله تالياً ومترجماً، وللجهاد مسرعاً، يُحب الله ورسوله، ويُحبّه الله ورسوله، كراراً غير فرار يفتح الله على يديه كما قال الرّسول -صلى الله عليه وآله-.

رجل لكل المراحل ومتجدد مع كل زمان كالشّمس لا يغيب، وهواء لا يستغنى عنه، ولا عجب؛ لأنّه علي بن أبي طالب -عليه السلام-.

رجل منذ ولادته في بيت الله الحرام إلى إطلاقه البشرى في محراب مسجد الكوفة ((فزت وربِّ الكعبة)) جَمع مآثر الدّنيا كلّها وسيرة الأنبياء والمرسلين وفاقهم، وحين نعاه سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي -عليه السلام- قال: **" لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع**

رسول الله -صلى الله عليه وآله- فيقيه نفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لاهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عزوجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول:(ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) "(١).

فكان -سلام الله عليه- جيش رسول الله -صلى الله عليه واله- وكان يمثل له الجانب المعنوي وما استقام دين محمد لولا سيف علي ونصرته.

وقد عبرت وشهدت سيدة نساء العالمين الزّهراء -عليها السلام- باحتجاجها في جمع الأنصار والمهاجرين في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وآله- بهذا المعنى صراحة: " قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمّراً، ناصحاً، مجداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدّوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال"(٢).

وعرَّف الإمام زين العابدين -عليه السلام- في خطبته في المسجد الأموي لشخصه وسابقته وأفضليّته -سلام الله عليه- حيث قال واصفاً جدّه أمير المؤمنين -عليه السلام-: " أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا:

لا إله إلا الله أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، ووليّ أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه سمح، سخي، بهي، بهلول، زكي، أبطحي، رضي، مقدام، همام صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الاصلاب، ومفرق الاحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الاسنة، وقربت الأعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكي مدني خيفي عقبي بدري احدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب".(٣).

فلو تأمّلنا قول المجتبى مع قول الزّهراء مع قول السّجاد -صلوات الله عليهم أجمعين- حول صفات رجل واحد لكان هو نفس محمد رسول الله -صلى الله عليه وآله- علي بن أبي طالب -عليه السلام- ولا يكون غيره، ولكن اجتمع أصحاب النّفاق والزّيغ إلّا على محو آثاره، وكتم فضائله، ومحو مناقبه؛ ليساووا به من دونه، وليحتالوا على المسلمين، وليجعلوا من الدّين السماوي ديناً وضعياً يكون فيه الملك خليفة، والجاهل شيخاً له، والنّاصبي مقدّماً، والكاذب راوياً، والمنافق صاحباً، ولكن رغم هذا التّعتيم فاقت فضائله الآفاق، وملأ المخالفون الكتب قبل محبيه ومناصريه، قال الخليل بن

أحمد الفراهيدي صاحب علم العروض: " إحتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنّه إمام الكل"(٤).

وقال الشّافعي: "ماذا أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حقداً، وكتم محبوه فضائله خوفاً، وظهر ما بين هذا وهذا ما يملأ الخافقين".

وقال الجاحظ: سمعت النّظام يقول: "علي بن أبي طالب -عليه السلام- محنة للمتكلم، إن وفى حقّه غلى، وإن بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادّة اللسان، صعبة التّرقي إلّا على الحاذق الذّكي"(٥).

وقال الفخر الرازي: " أما إن علي بن أبي طالب -عليه السلام- كان يجهر بالتّسمية، فقد ثبت بالتّواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب -عليه السلام- فقد اهتدى، والدّليل عليه قوله (عليه السلام): أللهم أدر الحق مع علي حيث دار)(٦).

كيف لا والسّماء وثّقت مواقفه، وشكرت سعيه، ونعتته بالمؤمن، وشكرت مواقفه وأيدته، والرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- ما ترك موقفاً إلّا وقلّده وساماً لا يليق إلّا له، ولا يستحقه إلّا هو أبداً، من قوله -تعالى-: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) حتى قوله -صلى الله عليه وآله- " من كنت مولاه فهذا علي مولاه" وما سبق تلك ولحق هذه يفوق، ولكن تبقى هناك منعطفات في تاريخ الإسلام ومن حياة أمير المؤمنين -عليه السلام- وصي النبوة -صلوات الله عليه وآله- حدّدت مسار الدّين الإسلامي والمرحلة اللاحقة أي بعد انتقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- للرفيق الأعلى.

وهذه المواقف كثيرة نورد بعض ما ثبت عند كافّة الفرق الإسلامية والتي بيّنت وشهدت بأنّ الأفضل بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله- والأقدر والأعلم والأصلح هو أمير المؤمنين -عليه السلام- بلا منازع بدليل قوله -تعالى-: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(٧).

حيث جاء في الرّواية الصّحيحة أنّها نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين -عليهم السلام- حيث أخرج الحاكم في المستدرك برقم ٤٧١٩ قال: (أخبرني) جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ببغداد ثنا موسى بن هارون ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن اسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية (**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**) دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم "**فقال أللهم هؤلاء أهلي**"(٨) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه / ٣ / ١٦٣.

وقال الذّهبي في التّلخيص على شرط البخاري ومسلم .

نعم هذه الآية تدل على أنّ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين -عليهم السلام- هم أفضل الخلق وأشرفهم بعد النبي -صلى الله عليه وآله- عند الله -تبارك وتعالى-.

نعم إنّ مولانا علي بن أبي طالب -عليه السلام- هو أفضل الخلق وأشرفهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله-؛ لأنّ الله -تعالى- جعله نفس النّبي -صلى الله عليه وآله- إذ أنّ كلمة (أنفسنا) لا تعني النبي -صلى الله عليه وآله-؛ لأنّ الدّعوة منه لا تصح لنفسه، وإنّما الدّعوة من الإنسان لغيره، فالمقصود من (أنفسنا) في الآية الكريمة هو سيدنا وإمامنا علي -عليه السلام-، فكان بمنزلة نفس النّبي -صلى الله عليه وآله-، ولذا دعاه وجاء به إلى المباهلة، وذلك بأمر الله -سبحانه-.

وهذا المعنى صرّح به كثير من علماء أهل السّنة، نذكر منهم على سبيل المثال منهم، مثل الزمخشري في تفسيره لآية المباهلة، فقد ذكر شرحاً وافياً عن الخمسة الطّيّبين وكشف حقائق ودقائق مفيدة عن فضلهم ومقامهم عند الله -سبحانه-، حتى قال الزمخشري في تفسيره الكشاف/ ج ١/ ص ٢٨٣ : "وخص الأبناء والنساء لأنّهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرّجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل. ومن ثمّة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون

الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق. وقدمهم في الذّكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء-عليهم السلام- .

ونقل ابن حيان في تفسيره البحر المحيط نفس كلام الزّمخشري، وقال النيسابوري في تفسيره / ج ٢/ ص ٢٧٧: "وأمّا فضل أصحاب الكساء فلا شكّ في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمّهم إلى نفسه بل قدّمهم في الذّكر. وفيها أيضاً دلالة على صحّة نبوّة محمد -صلى الله عليه وآله- فإنّه لو لم يكن واثقاً بصدقه لم يتجرّأ على تعريض أعزته ... وأفلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستئصال".

وقال أبو سعود في تفسيره (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ج ١ ص ٤٠٤:

فأتَوا رسولَ الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وقد غدا محتضِناً الحسينَ آخذاً بيد الحسنِ وفاطمةُ تمشي خلفَه وعليٌّ خلفها رضي الله عنهم أجمعين وهو يقول: « إذا أنا دعوتُ فأمِّنوا » فقال أسقفُ نجرانَ: يا معشرَ النّصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تُباهلوا فتهلِكوا ولا يبقى على وجه الأرضِ نصرانيٌّ إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهِلَك وأن نُقرَّك على دينك ونثبُتَ على ديننا، قال صلى الله عليه(وآله) وسلم: « فإذا أبيتم المباهلةَ فأسلِموا يكنْ لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين» فأبَوْا، قال عليه الصلاة والسلام: « فإنّي أناجِزُكم » فقالوا: ما لنا بحربِ العربِ طاقةٌ ولكن نصالِحُك على ألا تغزونا ولا تُخيفَنا ولا تَرُدَّنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كلَّ عام ألفي حُلة، ألفاً في صَفَر وألفاً في رجبٍ وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك وقال: « والذي نفسي بيده إن الهلاكَ قد تدلَّى على أهل نجرانَ، ولو لاعنوا لَمُسِخوا قِردةً وخنازيرَ ولاضْطَرمَ عليهم الوادي ناراً ولاستأصَلَ الله نجرانَ وأهلَه حتى الطيرَ على رؤوس الشّجر، ولما حال الحولُ على النّصارى كلِّهم حتى

يهلكوا».

وهذا النّص ذكره جمع من المفسرين نذكر منهم:

- البغوي في تفسيره/ ج ٢ / ص ٤٨ .
- الخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل/ ج ١ / ص ٣٨٧ .
- البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ج ١ / ص ٣٥٥ .
- الرازي في مفاتيح الغيب/ ج ٤ / ص ٢٤٠ .
- والشربيني في تفسير السراج المنير/ ج ١/ ص ٤٩٣ .
- ابن عادل في اللباب/ ج ٤/ ص ١٢٩ .
- القرطبي في الجامع لأحكام القرآن/ ج ٤ / ص ١٠٤ .
- السيوطي والمحلي في تفسير الجلالين/ ج ١/ ص ٣٥٣ .
- النسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ ج ١ / ص ١٦٢ .
- الألوسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ ج ٣ / ص ٧٤ .
- القطان في تيسير التفسير/ ج ١/ ص ١٩٩ .
- الثعلبي في تفسيره/ ج ١١/ ص ١٢٩ .

أقوال المفسِّرين والعلماء باختصاصها بأصحاب الكساء

قال أبو بكر النقّاش في تفسيره: " أجمع أكثر أهل التّفسير أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين -صلوات الله عليهم- (جواهر العقدين: الباب الأول، وتفسير آية المودّة).

وقال محمّد بن أحمد بنيس في شرح همزيّة البوصيري: (**إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا**) أكثر المفسّرين أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم (لوامع أنوار الكوكب الدرّي).

وقال العلامة سيدي محمّد جسوس في شرح الشّمائل: «... ثمّ جاء الحسن بن عليّ

فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معهم، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله ثمّ قال: (إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا) وفي ذلك إشارة إلى أنّهم المراد بأهل البيت في الآية» (شرح الشّمائل المحمدية: ذيل باب ما جاء في لباس رسول الله).

وقال السمهودي: وقالت فرقة، منهم الكلبيّ: هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصّة، للأحاديث المتقدمة (جواهر العقدين: الباب الأول).

وقال الطّحاوي في مشكل الآثار بعد ذكر أحاديث الكساء: " فدلّ ما روينا في هذه الآثار ممّا كان من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أمّ سلمة ممّا ذكرنا فيها، لم يرد أنّها كانت ممّا أريد به ممّا في الآية المتلوّة في هذا الباب، وأنّ المراد بما فيها هم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين دون ما سواهم. (مشكل الآثار: ح باب ما روي عن النبيّ في الآية).

وقال بعد ذكر أحاديث تلاوة النبيّ {صلى الله عليه وسلم} الآية على باب فاطمة: في هذا أيضاً دليل على أنّ هذه فيهم. (مشكل الآثار: ح باب ما روي عن النبيّ في الآية).

وقال الفخر الرّازي: وأنا أقول: آل محمّد {صلى الله عليه وسلم} هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر؛ فوجب أن يكونوا هم الآل. (٩)

الهوامش:

١ـ بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٢٣ / ص١٠٥.

٢-المصدر نفسه / ج ٢٩ / ص٢٢٥ .

٣-المصدر نفسه / ج ٤٢ / ص ١٣٣ .
٤- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ/ المؤلف : محمد الريشهري/ المساعدان : السيد محمد كاظم الطباطبائي ، السيد محمود الطباطبائي/ التحقيق : مركز بحوث دار الحديث/ الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر الطبعة : الثاني ، ١٤٢٥هـ/ المطبعة : دار الحديث/ قم المقدسة ، شارع معلم / ج٩/ ص ٣٨٠.
٥- سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي/ تحقيق مجمع البحوث الإسلامية/ الناشر: مؤسسة الطبع والنشر فيلا الاستانة الرضوية المقدسة/ ط١/ ١٤١٦هـ/ ج ١/ ص١٤٦ مادة (جحظ).
٦- التفسير الكبير/ الفخر الرازي/ دار الفكر/ ط١/ ١٩٨١م/ ج١ / ص٢٠٥، ٢٠٧.
٧- سورة آل عمران/ الآية:٦١ .
٨- صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج النيسابوري/ تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات/ الناش:دار التأصيل. لبنان/ ١٤٣٥هـ / ج ٤ / ص ١٨٧١ .
٩- الفخر الرازي/ المصدر السابق/ ج ١٣/ ص ٤٣٢ .

على طريق

الأمام علي (عليه السلام)

من دلالات حدث الميلاد

سماحة الشّيخ عبدالرّزاق فرج الله الأسدي/ باحث اسلامي

لقد جاء هذا الحدث التأريخي الخالد؛ لتستوحي الأمّة منه الدّلالات التي من شأنها أن تؤكّد رابطتها بالامتداد الرّسالي، ومن الجدير الإشارة هنا إلى ثلاث دلالات تتعلق بشأن الإمام أمير المؤمنين عليّ -عليه السلام-:

الأولى: تدخّل العناية الرّبّانيّة في كلّ شأن يرتبط بوجود الإمام عليّ -عليه السلام- منذ ولادته إلى استشهاده، ممّا يدلّ على أنّ هذا الوجود رشحة من لطف الله عزّ وجل، وإطلالة من نوره على هذه الخليقة قد فرضتها حاجة الإنسانية إلى هذا اللّطف الرّبّاني.

الثانية: إنّ هذا التّخطيط من أوضح الإشارات إلى طهر هذه الذّات المصطفاة، التي من أجلها استثنيت اعتبارات شرعيّة هامّة ألزم الله -عزّ وجل- بها سائر النّاس تجاه بيته الحرام كحرمة دخول النّفساء، والجنب.

وقد استمر هذا الاستثناء من المادة الشّرعيّة لخصوص رسول الله -صلى الله عليه وآله- والإمام عليّ -عليه السلام- ليشمل كافّة فصول حياتهما، ممّا يشير إلى وحدة الأصل بينهما.

عن خارجة بن سعد، عن أبيه سعد، قال : قال رسول الله -صلّى الله عليه وآله- لعليّ: **(يا عليّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك)**(١).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وآله-: **(يا عليّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك)**(٢).

الثالثة: أنّ الله عزّ وجل قد أعدّ هذه الشّخصيّة المطهّرة لعمليّة تغييريّة هامّة في بيت الله الحرام، وهي تطهيره من رجس الوثنيّة الجاهليّة.

فقد أعطاه الله -عزّ وجل- هذا الاختصاص بالولادة في بيته، وفاءً مقدّماً منه -تعالى- لهذا الوجود المطهّر المعطاء، لكونه يستحق هذا الوفاء الرّبّاني المقدّم، لأنّه الإمام الصّادق بكلّ خلاله وخصاله وعطائه.

كما كرّمه الله -عزّ وجل- مع ذلك الشّرف والقدر، أن جعل محط قدمه منكب

رسول الله -صلى الله عليه وآله-، إذ لم يتسنّ له الصّعود إلى سطح الكعبة إلا على كتف النبيّ -صلى الله عليه وآله- .

فكان هذا الحدث محلاً ومثاراً لقول الشّاعر العمري في قصيدته التي كان مطلعها:

أنت العليّ الذي فوق العلى رفعا ببطن مكّة وسط البيت إذ وضعا

إلى أن يقول:

وأنت حيدرة الغار الذي أسد الـ ـبرج السماوي عنه خاسئا رجعا

وأنت باب تعالى شأن حارسه بغير راحة روح القدس ما قرعا

وأنت ذاك الذي حطت له قدم في موضع كفه الرّحمن قد وضعا

العبقرية الخارقة الموهوبة

قد يحدث لإنسان مّا أن يتميّز بعبقريّة أو ذكاءٍ أو فراسة ينظر من خلالها إلى أكثر من بُعد من أبعاد الحياة ولكن هذه العبقريّة إنّما هي عبقريّة أو ذكاء مكتسب من ناحية، ومن ناحية أخرى إنّما تحدث هذه العبقريّة لهذا الإنسان أو ذاك في ظروف معيّنة، وفي أحوال نفسيّة وفكريّة خاصّة.

لذا قد يفتقدها الإنسان في حال من الأحوال عندما تختل لديه الموازين النّفسيّة والفكريّة تحت الضّغوط الاستثنائيّة، وقد تتناقض في نفسه المواقف في ظرف معيّن فيقع في صراع مع الذّات.

لكنّ الإمام عليّاً -عليه السلام- في نطاق هذه العبقريّة بل في كلّ خصاله وخلاله يعتبر طرازاً خاصّاً لم يقع تحت تأثير أيّ ظرف من الظّروف والأحوال التي كانت تتظافر ضدّه.

بل بقي محتفظاً بهذه الخوارق والإمكانات والمواقف التي تتّسم بعنصر إعجازي، وتستند في طرازها إلى عمق ودقة البناء الرّبّاني لهذه الشّخصيّة، فإليك نزراً قليلاً من أمثلة زَخر بها التاريخ:

أ- نزل الإمام أمير المؤمنين عليّ -عليه السلام- بذي قار لأخذ البيعة فأخبر أصحابه قائلاً: **"يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون رجلا، يبايعوني على الموت"**.

قال ابن عباس: فجزعت لذلك، وخفت أن ينقص القوم من العدد، أو يزيدوا عليه فيفسدوا الأمر علينا، وإنّي أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟

فبينما أنا مفكّر في ذلك، إذا رأيت شخصاً قد أقبل حتّى دنا، وهو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وإداوة، فاقترب من أمير المؤمنين -عليه السلام- فقال: أمدد يديك لأبايعك، قال علي -عليه السلام-: وعلى ما تبايعني؟

قال: على السّمع والطّاعة والقتال بين يديك، أو يفتح الله عليك.

فقال: ما اسمك؟ قال: أويس القرني، قال: (نعم الله أكبر فإنّه أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله، يموت على الشّهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر)(٣).

ب- كان الإمام عليّ -عليه السلام- يخطب على المنبر في المدائن، وقد مضى عمرو بن حريثاً وهو رأس من رؤوس المنافقين إلى الخورنق للتنزّه، ومعه سبعة من المنافقين، فاصطادوا ضبّا خلال سياحتهم، فأخذ عمرو بيد الضب،وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين ولا نبايع عليّاً على جمعة ولا جماعة، فلمّا رجعوا وجلسوا عند الإمام عليّ -عليه السلام-.

فلما نظر إليهم أمير المؤمنين -عليه السلام- عرّج قائلاً: **"يا أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسر إليّ ألف حديث في كل حديث ألف باب، ولكل باب ألف باب، وإنّي سمعته يقول: إنّ الله تعالى يقول: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)**

(٤)، وإنّي أقسم لكم بالله، ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر وإمامهم الضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت.

فقام الثّمانية من مجلس الإمام -عليه السلام- وقد عرتهم الدّهشة وارتعدت فرائصهم، وقال (الأصبغ بن نباتة): فلولا رأيت عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السّعفة حياء لوما"(٥).

ج - كان قد أخبر -عليه السلام- بملك الحجاج، وما يلقى أهل الكوفة منه من الظّلم والجور والفضائع، ولا أعتقد أنّ هناك خلافاً بين الكتاب المسلمين في جور الحجاج، وما بلغه من تعسف وظلم، وما ذاقت الكوفة منه من ويلات ومرارات.

فقد قال عنه الإمام أمير المؤمنين علي -عليه السلام-: "أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال - إشارة إلى طول قامته وخيلائه وتبختره في مشيه - إيه أبا وذحة -"(٦).

كان ذلك إشارة إلى الخنفساء وما لقيه من حتفه بسببها حيث كانت تدب على الأرض فوصلت إلى مصلّاه فأبعدها فعادت، ثم أبعدها فعادت، فأمسكها بيده فلسعته فتورّمت يده، وأخذته الحمى حتى مات بأوهن مخلوق من مخلوقات الله تعالى(٧).

د- كان قد أخبر -عليه السلام- بملك معاوية، ونوّه عمّا تلقى الأمة من ظلمه وجوره، أمام من حضر مجلسه وسمع منه خطابه فقال:

(سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن - إشارة إلى ضخامة بطنه - يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه - ولن تقتلوه - ألا والله سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فأمّا السب فسبوني، وأما البراءة فلا تتبرّؤوا منّي فإنّي ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة)(٨).

هـ - كما أخبر -عليه السلام- بكيفية موت معاوية، وأنّه لا يموت إلّا والصّليب في عنقه، فقال: " لا يموت إبن هند حتى يعلق الصليب في عنقه"(٩).

وقد روى المؤرخون: أنّه لمّا اشتدّت العلّة بمعاوية، وكان يتردّد عليه طبيب نصراني، فشكا إليه شدّة الألم وطلب وسيلة للتخلص منها، فقال: عندنا صليب ما علقه مريض إلا خفّف عنه، فجيء لمعاوية بالصّليب فعلقه في عنقه، حتى توفّي والصّليب في عنقه(١٠).

و- كان الإمام عليّ -عليه السلام- على منبر الكوفة، وهو يتنبّأ بأحداث قبل وقوعها، فيصوغ حولها بيانات ويعطي عنها لوائح صادقة.

فكان يقول: **"يخرج من ديلمان بنو الصّيّاد، ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزّوراء، ويخلعوا الخلفاء"، فقام إليه رجل وقال له: سيّدي وكم مدّتهم؟ فقال -عليه السلام-: (مئة أو تطول قليلاً)**(١١).

فلم يعرف المؤرّخون سرّ هذا القول، حتى مرّت العصور وتعاقبت الأزمنة، وإذا بالدّيالمة (عضد الدّولة وأخوته)، يملكون بغداد ويخلعون الخلفاء، فكانت مدّتهم مئة وزادت قليلاً.

ز- جيء بمروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع بالحسنين -عليهما السلام- إلى الإمام عليّ -عليه السلام- ليخلي سبيله، فقالا: يا أمير المؤمنين أدعه للبيعة لك، فقال -عليه السلام-: **" أو لم يبايعني قبل قتل عثمان؟ لا حاجة لي ببيعته إنّها كف يهوديّة، لو بايعني بكفه لنقض بسبته، أما أنّ له خلافة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكباش الأربعة، وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر"**(١٢).

فكانت خلافة مروان بن الحكم - كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ -عليه السلام- ستة أشهر، فقتل بعدها، فخلف أولاده الأربعة الذين حكموا بعده.

عبقريته نتاج العصمة

ولاشكّ في أنّ هذه العبقريّة الخارقة تندرج في نطاق العصمة الممنوحة من الله -عزّ وجل- للإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-.

وقد استعظم العصمة واستغربها منكروها، وقالوا: أنّها ضرب من الغلو والتّأليه والعبادة للمخلوقين، وعلى هؤلاء أن يلتفتوا:

١- إنّنا عندما نقول بعصمة الأئمة -عليهم السلام- لم نكن ندعو إلى عبادتهم من دون الله -عزّ وجل-، بل جاء عنهم -عليهم السلام- أنّهم أنكروا وحكموا بالكفر على كل من يدّعي أنّهم أرباب من دون الله -تعالى-.

فقد جاء في النّص عنه -عليه السلام-: **"لا تتجاوزوا بنا العبوديّة ثم قولوا ما شئتم"**(١٣).

وكما قال الإمام الصّادق -عليه السلام-:

"فو الله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا... ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميّتون، ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون- ويلهم ما لهم لعنهم الله ؟؟"(١٤).

فما يستوحى من كلمة الإمام الصادق -عليه السلام-: (ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا...) هو:

أنّ العصمة لا تتنافى مع كونهم مخلوقين لله -تعالى- ففي الوقت الذي هم مخلوقون لله -تعالى- ومأمورون بالعبادة، فهم مصطفون من قبل الله -تعالى- لهداية الناس وإرشادهم إلى الله -عزّ وجل- ممّا يلزم أن يكونوا أكمل الناس من كل الوجوه، وأنّهم الصّفوة المسدّدة في حركتها الرسالية.

٢- إنّ الذين يستغربون العصمة ويكابرون في إنكارها - بالرغم من هذا الوضوح لحدودها ومفهومها - لا يريدون بهذه المكابرة سوى تبرير الانحراف الذي عليه بعض

قادة التاريخ، الذين نصبوا أنفسهم أئمة على المسلمين بغير حق، وأخذوا بأعناقهم للطّاعة لهم في كلّ ما يقولون وما يفعلون.

٣- إنّ على الناس أن يفهموا معنى العصمة ومدلولها التّربوي السّامي في حياة الأمّة، وفي حفظ الرّسالة؛ إذ ليست العصمة خاصّة بترك المعاصي وقبائح الذّنوب فحسب، بل أنّها شاملة لكلّ أبعاد القوة في شخصيّة المعصوم -عليه السلام-.

وهي تشكّل الأساس في خلق الصّفاء الرّوحي والفكري للإمام المعصوم -عليه السلام-، وتعتبر المنطلق لهذا الشّمول لكلّ مظاهر الانسجام في الأبعاد النّفسيّة والفكريّة والرّوحيّة والسّلوكيّة للإمام -عليه السلام-، وتستند العصمة بالأساس إلى عاملين رئيسيين:

الأوّل: الحب لله عزّ وجل: وهو ما يخلق الحرص في نفس المعصوم -عليه السلام-، على أن يتحرّى رضا الله -عزّ وجل- في كلّ حركة من حركاته وسكناته، بل في كلّ نفس من أنفاسه، وأن يحتفظ بعلاقته الصّادقة بالمحبوب عزّ وجل.

الثاني: العلم والمعرفة بالله عزّ وجل: معرفة يقينيّة دونما شك أو تردّد، والعلم يوقد البصيرة وينير النّفس، ويولّد لدى المعصوم -عليه السلام- إحساساً متوهّجاً بخطر الذّنب صغيراً أو كبيراً.

وعلى هذا الأساس، يتنزّه المعصوم -عليه السلام- في فكره وروحه وسلوكه وقوله، وفي مأكله ومشربه وملبسه، عن كلّ ما هو دنيء في هذه الحياة، فتصفو نفسه، وتطهر ذاته، وتشرق روحه، وتنسجم قواه النّفسيّة والفكريّة، ويتوقد ذكاؤه وفطنته ورؤيته، فلا تبقى لديه الأمور على ظاهرها، بل يخترق علمه ظواهر الأشياء لينفذ الى باطنها وأسرارها.

ولا غرابة عندنا في ذلك لمن اصطفاه الله عزّ وجل وانتجبه هادياً للأمّة؛ أن يكون بهذا المستوى من العبقريّة الخارقة، حيث أنّ العصمة للإمام -عليه السلام- تعتبر

لازمة حتميّة من لوازم عقيدة الإماميّة، كالعقيدة في لزوم النّص على إمامته.

فقد جاء عن الإمام موسى بن جعفر -عليه السلام-، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين -عليه السلام-، قال: **"الإمام منّا لا يكون إلا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوصاً" فقيل له: يا ابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال:**

"هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل (إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم(١٥))"(١٦).

نعم إنّ من عقيدة الإماميّة، بحكم المنطق العملي والمصلحة الإنسانيّة العامة إشتراط العصمة في رسالة الرّسول وإمامة الإمام على حدّ سواء، وفي كلّ أدوار الحياة، ومن جميع أصناف المعاصي والذّنوب، وأنواع النّقائص والمخالفات.

لأنّ العصمة لا تعني إلا الكمال وتعادل القوى النّفسانيّة، وتوفّر الحصانة الذّاتيّة التي يرتفع بها صاحب الموقع الأعلى عن الإتضاع في طبيعته الإنسانية، ويمتنع بها عن الانزلاق والشّذوذ في إرادته، ويتنزّه عن كافة الانحرافات التي قد تترسّب في منطقة اللاشعور، فتتحوّل - كما يقرّر علماء النّفس- إلى عقد نفسيّة تتحكم في دوافع الإنسان وفي سلوكه وإتجاهاته وملكاته، وتسوقه -من حيث لا يريد- إلى الشّرود عن الحق، والنّشوز عن العدل.

وعلى هذا فإنّ اشتراط العصمة في الإمام لدى الإمامية يصبح بمنتهى الحكمة والموضوعيّة الشّرعيّة لمن يريد أن ينصف هذه الحقيقة.

ولو وضعنا الجانب النّظري لتصوّراتنا عن العصمة إلى ناحية، وتركنا عملية الاستدلال والأخذ والرّد، وحصرنا الحديث فيما نحن بصدده من عبقريّة الإمام عليّ -عليه السلام-، فإنّنا نجد جزئيات التّطبيق في حياته وسلوكه -عليه السلام-، ونزاهة الطّبع،

وحصافة الرّأي، وسداد الكلمة وإشراقة كل ذرّة من ذرّات وجوده، كلّها تشير إلى عصمته.

كما جاء في شرح النّهج (نص أبو محمد بن مانويه في كتاب الكفاية، على أنّ عليّا عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الإمامة، لكنّ أدلّة النّصوص قد دلّت على عصمته، والقطع على باطنه ومغيبه، وإنّ ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصّحابة والفرق ظاهر بين قولنا: (زيد معصوم) وقولنا : (زيد واجب العصمة لأنّه إمام، ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً)، فالاعتبار الأول مذهبنا، والاعتبار الثّاني مذهب الإمامية)(١٧).

الهوامش:

١.مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين للهيثمي المصري: ٩/ ١١٥/ ح: ١٤٦٧٩/ ط: بيروت – دار الكتب العلمية.

٢.سنن الترمذي: ج ٤/ ص: ٤٧٩/ ط: بيروت – دار الكتب العلمية. .

٣.بحار الأنوار للعلامة المجلسي –قدّس سرّه–/ ٤١/ ٣٠٠/ ط: قم المقدسة – مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية.

٤.الإسراء: ٧١ .

٥.بصائر الدّرجات لأبي جعفر الصفار/ ج٢/ ص: ٨٤ – ٨٥ / ط: بيروت – دار جواد الأئمة –عليهم السلام– .

٦.نهج البلاغة شرح الأستاذ محمد عبدة مفتي الدّيار المصريّة سابقاً – ص: ١٣٦/ ١١٤ ط: بيروت – دار الكتب العلمية .

٧.راجع المصدر السّابق وبحار الأنوار: ٣٤/ ٩٤.

٨.شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد/ ج ١ /ص ١٠٥/ ط: بيروت/ المكتبة

العصرية

٩.مناقب آل أبي طالب للحافظ ابن شهر آشوب- ج٢ / ص: ٤٨٥ / ط: بيروت - دار المرتضى .

١٠. راجع الصّراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي/ ج٣/ ص ٥٠ /ط: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية الديار المصرية سابقاً- ص: ٧٦ / ط: بيروت - دار الكتب العلمية .

١١. ابن أبي الحديد/ المصدر السابق/ مجلد ٤ / ج ٧/ ص: ٣٧/ ط: بيروت/ المكتبة العصرية .

١٢.نهج البلاغة: شرح الأستاذ محمد عبدة

١٣.الاحتجاج للعلامة الطبرسي- ج ٢/ ص: ٤٥٣ - ٤٥٤/ ط: طهران - دار الأسرة .

١٤.بحار الأنوار - للعلامة المجلسي: ج ٢٥/ ص: ٢٨٩/ ط: قم المقدسة - مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية .

١٥. سورة الإسراء: ٩ .

١٦.بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٢٥/ ص: ١٩٤ / ط: قم المقدسة- مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية.

١٧.بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٣٨/ ٦٩/ عن شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: مجلد ٣/ ج ٦ / ص: ٤٦٥/ .

ابن أبي الحديد المعتزلي

صدى الأقصى ١٠١

رجب الأصب ١٤٣٦هـ

ابن أبي الحديد

يَا رَسمُ لا رَسَمتكَ ريح زَعزَع ... وَسرَت بليل في عراصكَ خروعُ
لم أُلفِ صدري من فؤادي بلقعا ... إلا وأنتَ منَ الأحبَّةِ بلقَعُ
يَا أيها الوادي أجلُّكَ وادياً ... وأعزُّ إلا في حماكَ فأخضعُ
قَد قُلتُ للبرقِ الذي شَقَّ الدُّجى ... فَكأنَّ زنجيّاً هُناكَ يجدَّعُ
يا بَرقُ إن جئتَ الغريَّ فقل له ... أَترَاكَ تَعلمُ من بأرضِك مودعُ
فيكَ ابن عُمرَانَ الكليم وَبعدهُ ... عيسى يُقفِّيهِ وأحمدُ يَتبعُ
بَل فيكَ جبريلٌ وميكالٌ وإس ... رافيل والملأُ المقدَّس أجمعُ
بَل فِيكَ نُورُ اللَّه جَلَّ جَلالُه ... لِذوي البَصائر يَستشفُّ ويَلمعُ
فيكَ الإمامُ المرتَضى فيكَ الوَصي ... ي المجتبى فيك البطينُ الأنزعُ
الضَّاربُ الهام المقَنَّع في الوَغى ... بالخوفِ للبهم الكماةِ يُقنّعُ
والسَّمهَرِيَّة تَستقيمُ وَتَنحني ... فَكأنها بينَ الأضالعِ أضلعُ
ومبدِّدُ الأبطال حيث تألَّبوا ... ومفرق الأحزاب حيث تَجمّعوا
والحبر يَصدع بالمواعظ خاشعاً ... حتى تكاد لها القلوب تصدَّعُ
هذا ضَميرُ العالم الموجُود عَن ... عَدَم وسرُّ وُجوده المستودعُ
هذا هُوَ النُّورُ الذي عَذَباته ... كانَت بِجَبهَةِ آدَمٍ تَتَطَلَّعُ
وَشِهَابُ موسى حيثُ أظلم ليله ... رَفعت لهُ لألاؤه تتشعشعُ
يَا من لهُ ردت ذكاءُ ولم يَفز ... بِنظيرها من قَبل إلا يوشَعُ

يَـا هـازِم الأحـزَابِ لا يثنيهِ عَن ... خَـوضِ الحِـمام مدَجـجٌ ومـدَرَّعُ

يـا قَالـعَ البابِ الـذي عن هَزَّها ... عَجَـزَت أكـفٌّ أربَعـونَ وأربـعُ

لولا حُدوثُك قُلتُ إنك جَاعل ... الأَرواح في الأشـباح والمتنـّزعُ

مـا العـالَمُ العلـويّ إلا تُربَـةٌ ... فيهـا لجثَّتِـكَ الشريفـةِ مضجـعُ

أنـا في مَديحـكَ ألكـنٌ لا أهتَدي ... وأنـا الخَطيـب الهـبرزيُّ المصقـعُ

أأقـولُ فيـكَ سُـمَيدَعٌ كلا وَلا ... حاشـا لمثلِـكَ أن يقـال سُـميدعُ

بَـل أنـتَ في يَوم القيامـةِ حَاكمٌ ... في العالمَين وشَـافعٌ وَمُشَـفَّعُ

لي فيـكَ مُعتقدٌ سَأكشـفُ سِرَّهُ ... فَليصـغِ أربَـابُ النُّهى وليسـمعوا

هـيَ نَفثـةُ المصدُور يطفـئ بَردَها ... حَـرُّ الصبابَـةِ فاعذلـوني أو دَعـوا

واللهِ لـولا حَيـدرٌ مـا كانَتِ الد ... دُنيـا ولا جَمـعَ البريَّـة مجمـعُ

وإليـهِ في يَـوم المعـادِ حِسـابنا ... وهـو المـلاذ لنـا غـدا والمفـزعُ

يـا مَـن لـهُ في أَرض قَلبـي مَنزلٌ ... نِعـمَ المـراد الرَّحـب والمسـتربَعُ

أَهـوَاكَ حتى في حَشاشَـة مُهجتي ... نـارٌ تَشـبُّ عـلى هَـواكَ وتلـذعُ

وتَـكادُ نَفـسي أَن تَـذوب صَبابَةً ... خُلقـاً وطبعـاً لا كمـن يَتطبـعُ

وَلقـد عَلمـتُ بأنَّـهُ لا بُـدَّ من ... مهديِّكـم وليومـهِ أتوَقَّـعُ

يَحميـهِ مِـن جُنـدِ الإلـه كتائبٌ ... كاليـمِّ أقبـلَ زاخِـراً يَتدفَّـعُ

ورجَـال مَوتٍ مقدِمـونَ كَأنَّهم ... أُسـدُ العَرينِ الرّبـد لا تتكعكـعُ

١٠٥
صدى الأقصى
رجب الأصب ١٤٣٦هـ

هي الزّيارة المعروفة بأمين الله وهي في غاية الاعتبار ومرويّة في جميع كتب الزّيارات والمصابيح وقال العلامة المجلسي -رحمه الله- انّها أحسن الزّيارات متناً وسَنداً وينبغي المُواظبة عليها في جَميع الرّوضات المقدّسة وَهي كما روي بأسناد معتبرة عن جابر عَنِ الباقر -عليه السلام- انّه زار الامام زين العابدين -عليه السلام- أمير المؤمنين -عليه السلام- فوقف عند القبر وبكى وقالَ :

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَمينَ اللهِ في اَرْضِهِ وَحُجَّتَهُ عَلى عِبادِهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ اَشْهَدُ اَنَّكَ جاهَدْتَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّى دَعاكَ اللهُ اِلى جِوارِهِ فَقَبَضَكَ اِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ وَاَلْزَمَ اَعْدآئَكَ الْحُجَّةَ مَعَ مالَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالِغَةِ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ اَللّـهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ راضِيَةً بِقَضآئِكَ مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعآئِكَ مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ اَوْلِيآئِكَ مَحْبُوبَةً فى اَرْضِكَ وَسَمآئِكَ صابِرَةً عَلى نُزُولِ بَلائِكَ شاكِرَةً لِفَواضِلِ نَعْمآئِكَ ذاكِرَةً لِسَوابِغِ آلائِكَ مُشْتاقَةً اِلى فَرْحَةِ لِقآئِكَ مُتَزَوِّدَةً التَّقْوى لِيَوْمِ جَزآئِكَ مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ اَوْلِيآئِكَ مُفارِقَةً لاَِخْلاقِ اَعْدائِكَ مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيا بِحَمْدِكَ وَثَنآئِكَ .

ثمّ وَضع خدّه على القبر وَقال :

اَللّـهُمَّ اِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتينَ اِلَيْكَ والِهَةٌ وَسُبُلَ الرّاغِبينَ اِلَيْكَ شارِعَةٌ وَاَعْلامَ الْقاصِدينَ اِلَيْكَ واضِحَةٌ وَاَفْئِدَةَ الْعارِفينَ مِنْكَ فازِعَةٌ وَاَصْواتَ الدّاعينَ اِلَيْكَ صاعِدَةٌ وَاَبْوابَ الاِْجابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ وَدَعْوَةَ مَنْ ناجاكَ مُسْتَجابَةٌ وَتَوْبَةَ مَنْ اَنابَ اِلَيْكَ مَقْبُولَةٌ وَعَبْرَةَ مَنْ بَكى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ وَالاِْغاثَةَ لِمَنِ اسْتَغاثَ بِكَ مَوْجُودَةٌ وَالاِْعانَةَ لِمَنِ اسْتَعانَ بِكَ مَبْذُولَةٌ وَعِداتِكَ لِعِبادِكَ مُنْجَزَةٌ وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقالَكَ مُقالَةٌ وَاَعْمالَ الْعامِلينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ وَاَرْزاقَكَ اِلَى الْخَلائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نازِلَةٌ وَعَوآئِدَ الْمَزيدِ اِلَيْهِمْ واصِلَةٌ وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرينَ مَغْفُورَةٌ وَحَوآئِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ وَجَوآئِزَ السّآئِلينَ عِنْدَكَ مُوَفَّرَةٌ وَ عَوآئِدَ الْمَزيدِ مُتَواتِرَةٌ وَمَوآئِدَ الْمُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ وَمَناهِلَ الظِّمآءِ مُتْرَعَةٌ اَللّـهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعآئى

وَاقْبَلْ ثَنائی وَاجْمَعْ بَیْنی وَبَیْنَ اَوْلِیائی بِحَقِّ مُحَمَّد وَعَلِیّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَیْنِ اِنَّكَ وَلِیُّ نَعْمائی وَمُنْتَهی مُنایَ وَغایَةُ رَجائی فی مُنْقَلَبی وَمَثْوایَ .

وقد ذكر في كتاب كامل الزّيارة هذه الزّيارة بهذا القول :

اَنْتَ اِلهی وَسَیِّدی وَمَوْلایَ اغْفِرْ لاَوْلِیائِنا وَكُفَّ عَنّا اَعْداَئَنا وَاشْغَلْهُمْ عَنْ اَذانا وَاَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْیا وَاَدْحِضْ كَلِمَةَ الْباطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلی اِنَّكَ عَلی كُلِّ شَیءٍ قَدیرٌ .

ثمّ قال الباقر -عليه السلام- ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر امير المؤمنين -عليه السلام- أو عند قبر أحد من الائمة -عليهم السلام- الاّ رفع دعاءه في درج مِن نور وطبع عليه بخاتم محمّد -صلى الله عليه وآله- وكان محفوظاً كذلك حتّى يسلّم الى قائم آل محمّد -عليهم السلام- فيلقى صاحبه بالبشرى والتّحيّة والكرامة ان شاء الله تعالى (١).

الهوامش:

(١) مفاتيح الجنان/ ص١٧٣.

مولد أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب
عليه الصلاة والسلام

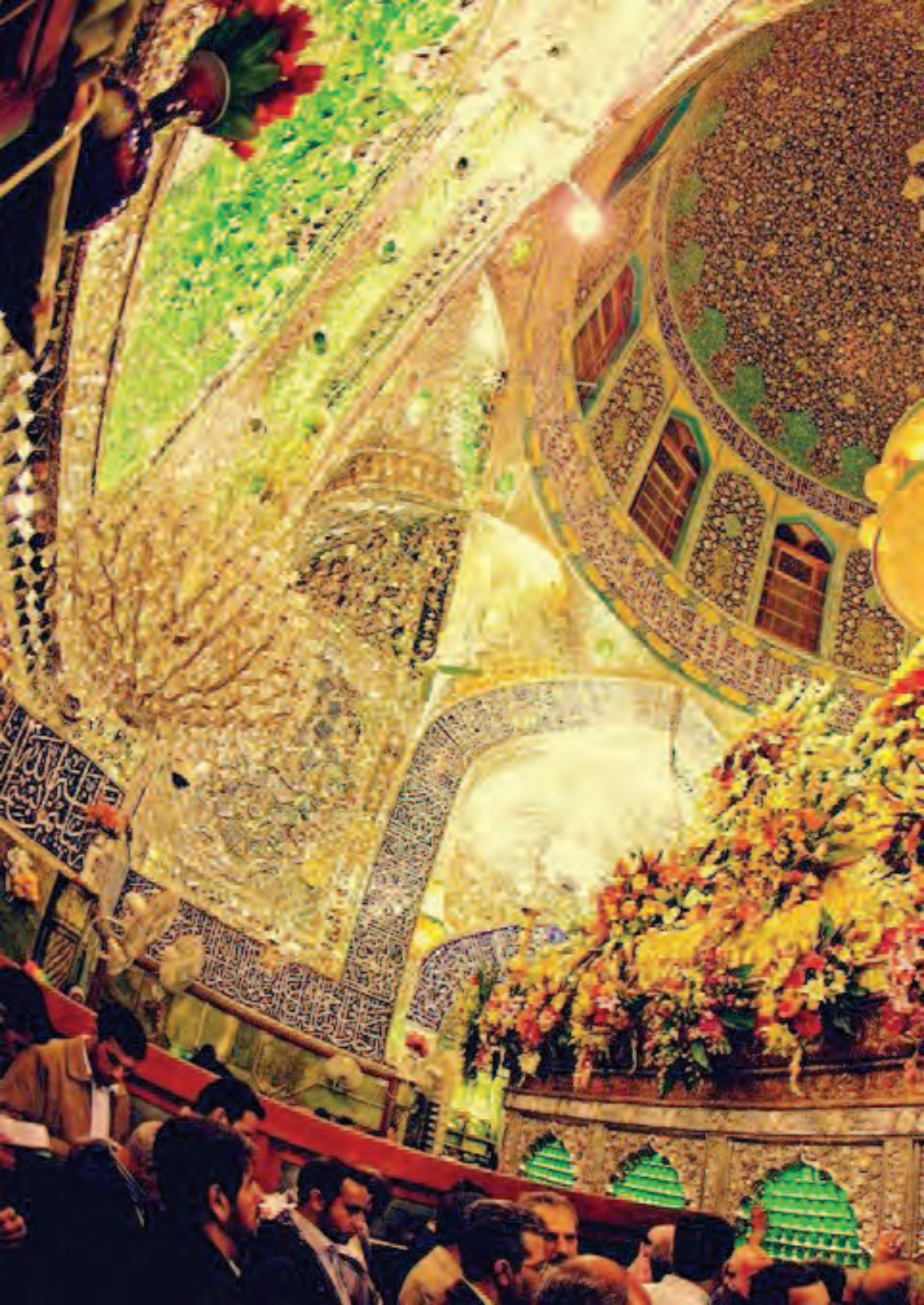

يا ابا الفضل العباس